الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغـــات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

صورة المرأة في شعر الصعاليك
نماذج مختارة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبين:
- محمد العمري
- الطاهر بن جدو

إشراف الأستاذة:
- هاجر بكاكرية

السنة الجامعية: **2014/2013**

دعـــاء

اللّهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا.

ولا باليأس إذا أخفقنا وذكرنا دائمًا بأن الإخفاق هوا لتجربة التي تسبق النجاح.

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا وإذا أعطيتنا توضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

كلمة شكر وتقدير

" لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ" إبراهيم : الآية : 07.

الحمد للّه العليّ العظيم الذي من علينا بنعمه فألهمنا روح الصبر والمثابرة لإتمام هذا العمل، وما كان ليتم إلاّ بفضله وتوفيقه، نشكره شكرا عظيما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وبعد:

فإنه يسعدنا في هذا المقام أن نتوجه بخالص الشكر والامتنان للأستاذة "هاجر بكاكرية" لتكرمها بالإشراف على دراستنا ، ولما قدمت لنا من نصائح ثمينة ، ساهمت في إخراج هذه الدراسة على هذه الصورة.

كما نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الكريم : "طار ق بوحالة" للمساعدة والمساندة في إتمام هذا العمل.

كما نتقدم بجزيل الشكر للمركز الجامعي لميلة على إتاحته لنا الفرصة للبحث والدراسة في جو علمي مفعم بالود والمحبة والاحترام.

وأخيرا نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في انجاز هذا العمل، راجين من المولى القدير أن نكون من العارفين للناس فضلهم وأن يمكننا من رد الجميل.

إهـــــداء

الحمد لله الّذي أنعم علينا بنعمة العقل و الصّحة فأتممنا بعونه هذا العمل و الصّلاة والسّلام على نبيذه ومصطفاه ،ونشهد أن لاإلــه إلاّ الله وحده لا شريك له.

إلى الّتي حملتني وهنا على وهن تسعة أشهر وغمرتني بحنانها و عطفها ، وكانت سندا لي في دربي و عانت الحلو والمرّ حتّى أوصلتني إلى ما أبغي إلى أغلى ما أملك في الوجود :

أمّـــــــــــــي : مسعودة.

إلى الّذي تكلّف المشقّة في تعليمي إلى الّذي ربّاني وارادني أن أبلغ المعالي إلى الّذي كان مثلي الأعلى في الصّبر والطّاعة لله إلى أعّز ما عندي :

أبـــــــــــــي : معمر.

" ربّ احفضهما لي "

إلى إخوتي : عبد العزيز ، عبد الحق ، عبد الحليم .

إلى أخواتي : نورة ، وفاء ، سميرة ، ريمة ، أحلام .

إلى براعم العائلة : مريم ، صهيب ، آدم ، أيمن ، دعاء ، غفران (أسيل) . وبالأخص منهم آدم .

إلى الّتي عشت معها أحلى أيّامي ، وتقاسمت معها حلو ومر حياتي ، إلى الّتي تمنحني في كلّ يوم أمل الحياة ، أهديها أغلى وأحّر أحّر أحّر التحيّات: آمـــــــال

إلى الأحباب والأصحاب : بلال ، مراد ، محمد ، أيّوب ، جمال ، عماد ، طارق .

إلى من شاركني في إنجاز هذا البحث : الطّاهر بن جدو .

إلى كل أصدقاء السّنوات الجامعية وبالأخّص : ياسر ، فارس . عبد الباسط

إلى كل من يعرفني من قريب أو من بعيد و خاصّة : جلال و هشام (زيدان) .

إلى كل من يحمل لقب "العمري" واحدا واحدا .

إلى الأستاذ والأستاذة : (طارق بوحالة و هاجر بكاكرية) .

إلى كل من أحبّهم القلب ولم يذكرهم القلم ، أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .

محمـــــــــد .

إهداء

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله ، أمي الغالية .

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب

إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير ،والدي العزيز.

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله

إلى من آثروني على نفسهم

إلى من علموني علم الحياة

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة ،إخوتي.

إلى من كانوا ملاذي وملجئي

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات

إلى من جعلهم الله أخوتي بالله ..... و من أحببتهم بالله ،أصدقائي.

إلى من يجمع بين سعادتي وحزني

إلى من لم أعرفهم ..... ولن يعرفوني

إلى من أتمنى أن أذكرهم .....إذا ذكروني

إلى من أتمنى أن تبقى صورهم .....في عيوني.

الطاهر .

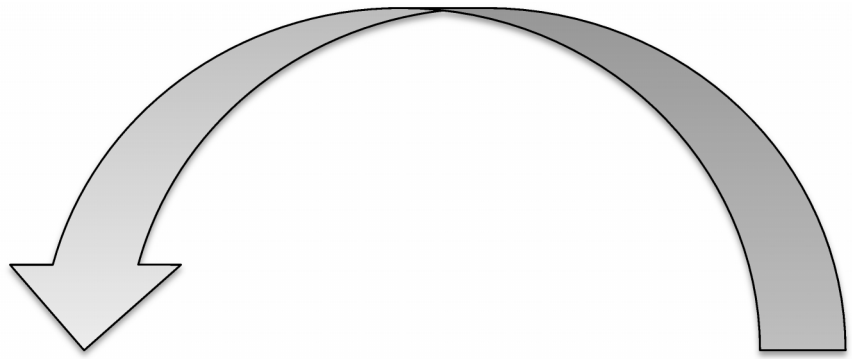

مقدمـــــة

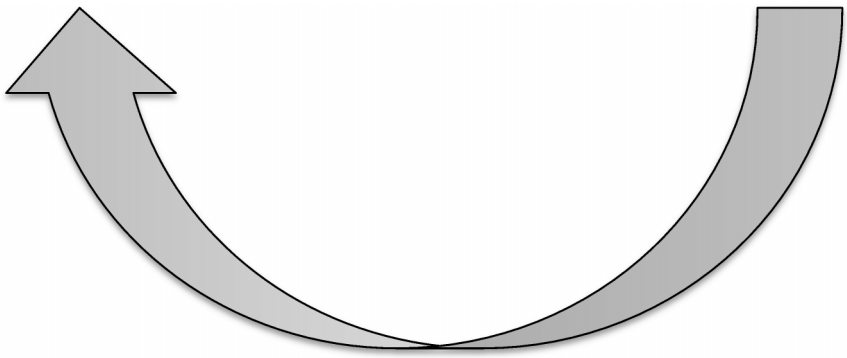

احتلت المرأة مكانة كبيرة في الشعر الجاهلي ، إذ أفردت لها القصائد عند كثير من الشعراء وتعدت صور تقديمها بتعدد الأساليب الشعرية ، ولما كانت الصعلكة حركة أدبية فرضت نفسها بين أشعار العرب ، فهؤلاء كذلك قدموا صورا مختلفة عن المرأة ، وهذا ما يتناوله البحث الموسوم بـ : " صورة المرأة في الشعر الصعاليك " ، إذ يبين هذا البحث كيفية تصوير هؤلاء للمرأة ، وخصوصية هذا التصوير.

وكما اشرنا سابقا، فان تنوع الأساليب الشعرية فرض وجود مختلف، فما هي صور المرأة عند الصعاليك ؟ وكيف تناول هؤلاء المرأة ؟ وكيف كانت خصوصية هذه الصور مقارنة بغيرها؟

لم يكن اختيارنا لهذا البحث بدافع الانحياز لتيار أدبي دون آخر ، وإنما رغبة منا في مد جسور معرفية مع شعر الصعاليك ، وكذلك إماطة اللثام عن هذا الشعر . أما عن الأسباب الموضوعية، فهي محاولة تقديم إضافة في مجال الأدب القديم ، وتقريبه من الطلبة والباحثين ، وكذا إعادة الاعتبار لهؤلاء الشعراء الذين لم ينالوا حقهم من الدراسة ، وقد صادف هذا البحث مجموعة من الدراسات التي تناولت صورة المرأة في الشعر العربي ولعل أبرزها :

- قصي الحسن : أنثروبولوجية الأدب ، إذ تناول هدا الكتاب فصلا خاصا عن صورة المرأة في الشعر الجاهلي .
- يوسف عليمات: النسق الثقافي – قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم، وكذلك افرد فصلا خاصا يتحدث فيه عن صورة المرأة في الشعر الصعاليك.
- صورة العاذل في شعر الصعاليك ، وهي مذكرة ليسانس .
- يوسف خليف : الشعراء الصعاليك .

يهدف هذا البحث إلى دراسة صورة المرأة في شعر الصعاليك، وخصائصها وأنماطها، وكذا تبيان طبيعة الصورة وما تميزت به المرأة عندهم عن باقي الشعراء في عصر الجاهلية.

وانطلاقا من هذا الأمر كان اعتمادنا على المنهج الموضوعاتي لتتبع أنماط الصَورة والوقوف على خصائصها كما استعان البحث بالمنهج التاريخي عند تقديمه لظاهرة الصَعلكة ودوافع نشأتها .

وقد بني هذا البحث على الخطة التالية :

- مقدمة: اشتملت على عناصر مقدمة البحوث العلمية.
- مدخل : حمل عنوان : الصعلكة : المفهوم والأسباب .
  - مفهوم الصعلكة .
  - أسباب الصعلكة .
  - الشعراء الصعاليك .
  - طوائف الصعاليك و مناطق إغارتهم .
- الفصل الأول : أنماط صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك .
  - المبحث الأول : صورة المرأة العاذلة .
  - المبحث الثاني : صورة المرأة الظاعنة .
  - المبحث الثالث : صورة المرأة الأم .
  - المبحث الرابع : صورة طيف المرأة .
  - المبحث الخامس : صورة المرأة السبيّة .
  - المبحث السادس : الصورة المبتذلة .
- الفصل الثاني : صورة المرأة في شعر الصعاليك – نماذج مختارة –
  - المبحث الأول : المرأة العاذلة .
  - المبحث الثاني : المرأة الظاعنة .
  - المبحث الثالث : المرأة الأم .
  - المبحث الرابع : طيف المرأة .
  - المبحث الخامس : السبيّة
  - المبحث السادس : المرأة المبتذلة .
- خاتمة : ضمت الاستخلاصات العلمية للبحث .

- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

و قد اعتمد هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع وسنكتفي هنا بإبراز أهمها:

- علي ابوزيد : ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي .
- يوسف عليمات : صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .
- يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي .
- فاطمة تجور : المرأة في الشعر الأموي .
- يوسف خليف : الشعراء الصعاليك .

بالإضافة إلى الدواوين الشعرية لأبرز الشعراء الصعاليك وباقي المراجع التي سترد في ثنايا البحث.

واجهتنا جملة من الصعوبات: كقلة المراجع –خاصة ما تعلق بالتطبيق–، إضافة إلى ضيّق الوقت، غير أنَ هذا الأمر لم يعقنا في إتمام البحث بل كان بمثابة دافع لنا.

لا يفوتنا في الأخير أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة (هاجر بكاكرية) على الجهود التي بذلتها في سبيل انجاز هدا البحث .

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى الأستاذ (طارق بوحالة) على المساعدة الكبيرة التي قدمها لنا .

في الأخير هذا بحث بسيط ، قام به بشر ، ومحاولة البشر تخطئ وتصيب ، فإن أصبنا – وهذه غايتنا – فمن الله وعلى الله قصد السبيل والله المستعان .

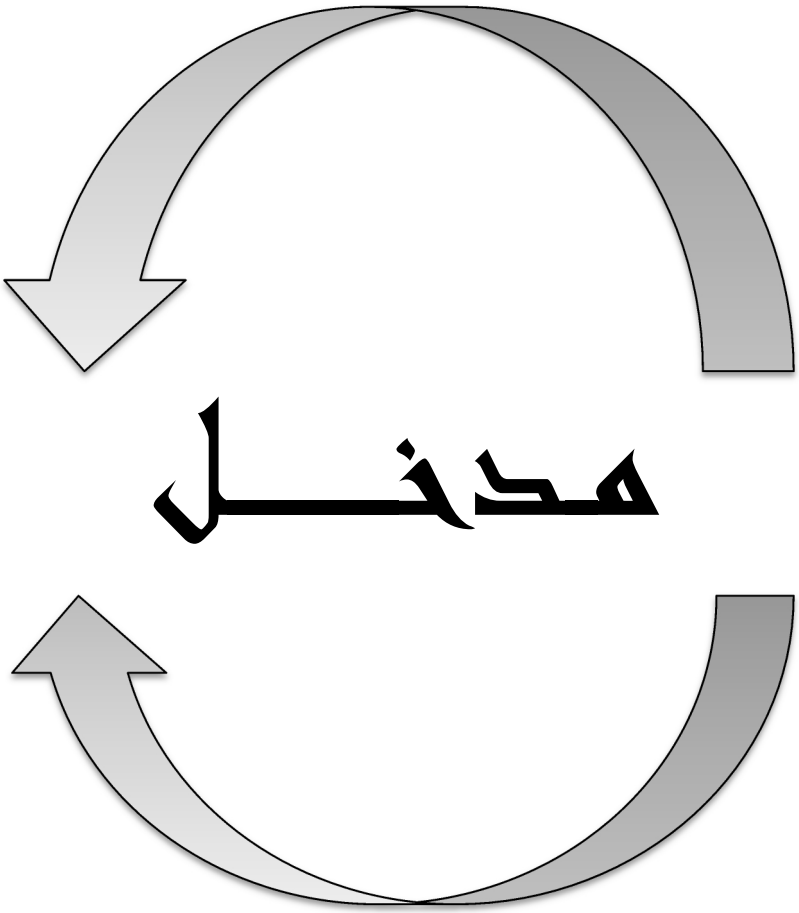
مدخل

أولا : الصعلكة

1.مفهموها :

الصعلكة – كما جاء في معاجم اللغة – هي الفقر ، والصعاليك هم الفقراء . قال " إبن سيدة " (ت 458 هـ) في " المحكم والمحيط الأعظم " والصعلوك : الذي لا مال له ، وقد تصعلك . قال حاتم الطائي[1] :

غنينا زمانا بالتصعلك و الغنى فكلا سقاناه بكأسيهما الدهـر

وفي هذا نرى أن المعنى المباشر للصعلكة هم الفقر ، إما بمدلوله المباشر وهو التجرد ، لان الفقر في الإنسان هو التجرد من الغنى .

وقد جاء في معجم " الصحاح " للجوهري (ت 393 هـ) : " الصعلوك الفقير . وصعاليك العرب : ذؤبانها . وكان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك : لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه . والتصعلك : الفقر" .[2]

لقد اكتفى معظم المعاجم بالمعنى المباشر للصعلكة . وهو الفقر . ولكننا إذا ما أردنا أن نتعرف على المعنى العرفي للصعلكة ، فإننا نجد بعض إشارات لدلك في معرض حديث هده الكتب عن معنى (ذأب) . ففي الصحاح نجد الجوهري يقول : " وذؤبان العرب أيضا : صعاليكها الذين يتلصصون" .[3]

وعند العودة إلى لسان العرب فإننا نجد أنه يقال لصعاليك العرب : ذؤبان لأنَهم كالذئاب

---

[1] أبو الحسن بن اسماعيل بن سيدة المرسي : المحكم و المحيط الاعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – ط1 ، سنة 2000 ، ج 2 ، ص416.

[2] اسماعيل بن حماد الجوهري : تاج اللغة و صحاح العربية ، تح : احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان – ط4 ، سنة 1990 م ، ص 1596 – 1597 .

[3] المرجع السابق: ج 4، ص 125.

وذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون .

" وذؤب الرجل وتذأب خبث وصار كالذئب خبثا ودهاء" .[1]

فالصعلكة إذا تعني الفقر والتجرد من المال . الفقر الذي يجعل الإنسان لصا وقاطع طريق، وغازيا ينتزع المال انتزاعا ، فيحيا في الصحراء حياة الذئاب الضارية وهذا هو المعنى اللغوي .

ولكن هناك معنى سلوكي عرفي تنبه له " أبو زيد القرشي " في " جمهرة أشعار العرب " حين قال : " والصعلوك الفقير ، وهو أيضا المتجرد للغارات " .[2]

والظريف الذي يبدو كأنه تناقض أو تباعد ، أننا حين نسال اللغة عن المتصف بالصعلكة لا تقول أنه الفقير ، ولكننا نجده صاحب شيء يشبه المهنة أو الحرفة وهي الصعلكة نفسها ، وحينئذ لا تكون الصعلكة دالة على الفقر ، وإنما على اللصوصية ، وقطع الطريق وسائر أساليب السلوك العدواني الذي يهدف إلى المغنم.

ويمكن أن نفهم هذا التباعد في الدلالتين على أن لفظ الصعلكة يدل أصلا في اللغة على الفقر والحاجة ، وهذه الحاجة دفعت بعض أصحابها من ذوي الصفات المعنية إلى العدوان على الناس لسلبهم ما يملكون وأصبح الذين يزاولون هدا السلوك يعرفون في عرف المجتمع العربي القديم بالصعاليك و" إذا فهناك استعمال لغوي للصعلكة وهو الفقر ، واستعمال عرفي هو اللصوصية باعتبار أن الدافع لها أصلا هو الفقر والاستعمالان متقاربان حيث لا ينقصهما إلاَ أن الخيط

[1] ابن منظور: لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير – محمد أحمد حسب الله – هاشم الشاذلي ، دار المعارف القاهرة – مصر – د.ط، د.ت ، م4 ، ج27 ، ص2451 – 2452 .

[2] أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الاسلام ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر ، د.ط، د.ت ، ص 453 .

الذي يربط بينهما مقطوع أو غير واضح . وهو أن الفقر سبب أساسي في مزاولة الصعلكة وهي حقيقة من واقع المجتمع العربي القديم "[1]

فالصعلكة وإن كانت تعني الفقر ، إلا أنها مهنة إمتهنها أصحابها بسبب فقرهم وعوزهم و حاجتهم وتمردهم على النظم السائدة في مجتمعاتهم ، فبرر ذلك المعنى العرفي السلوكي الذي يدل على السلب والنهب و التجرد للإغارة من أجل انتزاع الحقوق انتزاعا .

2. أسبابها :

2 .1. الفقر :

إن من أسباب الصعلكة ، الفقر وقلة الموارد المعيشية في أرض مترامية الأطراف يعتمد أهلها على الماشية ، التي يرعونها ، فيأكلون من لحومها و يشربون من ألبانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها . فهم رعاة تتقلب حياتهم من حيث الفقر والغنى تبعا لظروف الحياة القاسية من حولهم ، فالراعي دائما يبقى رهين أحوال الطقس ونزول المطر ، فالفقر كان دائما سبب بارزا في ظهور هذه الظاهرة في العصر الجاهلي ، يقول الأعلم حبيب الهذلي:[2]

وذكرت أهلي بالـــــــعرا ء و حاجته الشعث التوالــب

المصرمين من التـــــلا د اللامحين إلى الأقـــــــارب

---

[1] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه و خصائصه، ص 28-29.

[2] أبو سعيد الحسن ابن الحسين السّكري ، شرح أشعار الهذليين ، تح : عبد الستّار احمد فراج ، مطبعة المدني ، القاهرة – مصر – د.ط،د.ت ، ج1 ، ص 315 .

فهو يطالعنا بصورة مؤثرة لتشرده و أهله و فرط حاجتهم إليه من شدة فقرهم ومبيتهم بالعراء ،و" المصرم " : المقل الذي لا مال له ، فأهله كما يصفهم يبيتون في العراء شعثا ، يراقبون متلهفين إلى من يأتيهم من أقاربهم بشيء يأكلونه .

وهذا الشنفري يتفنن في تصوير فقره ، بل حرمانه في أبلغ صور الحرمان وأشدها تأثيرا في النفس ، فهو يتحدث عن الجوع فيقول انه أصبح أليفا له ، حتى إنه اهتدى إلى طريقة يعالجه بها ، هي تجاهله وعدم المبالاة به ، فيقول متحدثا عن جوعه واحتفاظه بعزته وكرامته مع هذا الجوع :[1]

أديم مطال الجوع حتى أميتـــــــه و أضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

وأستّف ترب الأرض كيلا يرى لـــه عليّ من الطول امرؤ متطـــــوّل

إلى أن يقول :

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطة ماريّ تغار و تفتـــــــل

وأغدو على القوت الزّهيد كما غـــــدا أزلّ تهاداه التّنائف أطـــــــحل

أما عروة بن الورد فقد كان غير راض عن قدره ولم تصبر نفسه على هذه الحياة ، فقرر خوض غمارها بحد السيف واجتياز المخاطر ، والمغامرة بالنفس، ممتهنا حرفة الغزو والنّهب والقتال في سبيل الحياة الكريمة والغنى المنشود،حيث يقول :[2]

دعيني للغنى أسعى فانّـــــي رأيت النّاس شرّهم الفقيـــــــر

وأبعدهم و أهونهم عليـــــهم و إن أمسى له حسب وخيـــر

ويقصيه النديّ و تزدريـــــــه حليلته و ينهره الصّغيـــــــر

[1] الشنفرى : الديوان ، شرح و تحقيق : اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان – ط2 ، سنة 1996 م ، ص 63 .

[2] عروة بن الورد: الديوان، شرح : عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم للطباعة و التوزيع و النشر ، بيروت – لبنان – د.ط،د.ت ، ص 50 – 51 .

فالجوع والحرمان والفقر كانا حاضرين في شعرهم الذّي هو مرآة حياتهم وافعهم للصعلكة والغزو والإغارة من أجل الحياة ، بل إنّ الرّضى بالفقر والتقاعس عن الغزو والإغارة يعد عيبا حيث يقول عروة بن الورد موازيا بين الصعلوك الذي يرضى بالفقر ويتقاعس ويرضى أن يكون عالةعلى غيره ، وبين الصعلوك المتحفّز المغامر فيقول :[1]

لحى الله صعلوكا إذا جنّ ليلـــــه مصافي المشاش آلفا كلّ مجـزر
يعدّ الغنى من نفسه كلّ ليلـــــة أصاب قراها من صديق ميسّـــــر
ينام عشاء ثم يصبح ناعســـــا يحت الحصى عن جنبه المتعفــّر

إلى أن يقول :

ولكن صعلوكا صفيحة و جهـــــه كضوء شهاب القابس المتنـــــوّر
مطلاّ على أعدائه يزجرونـــــــــه سباحتهم زجر النيح المشـــــــهّر
إذا بعدوا لا يأمنون اقترابـــــــــه تشوّف أهل الغائب المنتـــــــظّر
فداك إن يلق المنيّة يلقهـــــــــا حميدا و إن يستغني يوما فأجـدر

ومن خلال هذه الأبيات التي أوردناها يتضح جليا أنّ القاسم المشترك بين طوائف الصعاليك هوالفقر ، و أن نقطة الاختلاف تكمن في أسلوب العيش و وسائله ، فإذا كانت الطائفة الأولى قد استكانت للواقع واتخذت الطلب والاستجداء وسيلة لعيشها ، فان الطائفة الثانية اتبعت أسلوب القوة والصدام والغارة والغزو وقطع الطريق معتمد في ذلك على قوة السلاح وحد السّيف ، وغيرها من وسائل الإغارة لكسب لقمة العيش .

" ومعنى هدا أن بعض الفقراء الصعاليك آثر الحياة عبدا للغنى وبعضهم آثرها حربا على الغنى ،الأوّلون لم يكن في نفوسهم طموح فرضوا بأقل شيء

[1] عروة بن الورد : الديوان، ص 45 .

والآخرون كانت نفوسهم منطوية على أنفة وإباء فكرهوا الأوضاع وحطموا القيود التي تحول دون ما يريدون. "[1]

2. 2.النظام الاجتماعي :

لم يعرف الجاهليون الدّولة الجامعة التي تبسّط عليهم سلطانها ، وتفوّض قوانينها ، وتنظم شؤونهم وتسيّر حياتهم ، بل كان النظام القبلي هو السّائد في الجزيرة العربية ، وكلّما كانت القبيلة قوية كلما كانت أقدر على بسط سيطرتها وفرض رؤيتها على غيرها ، فأصبحت القبيلة بنظامها هي السلطة المسيطرة لأمور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لمن ينتمون لها .

لقد أبى الصعاليك الخضوع لهذه السلطة " لأنّهم لا يؤمنون بأيّ سلطان من أيّ نوع وتجد هذه النزعة سائدة شائعة في شعرهم. "[2]

يقول الشّنفرفي اللاّمية مفصّلا الحياة مع الوحوش الضّارية على حياة وسط مجتمع ظالم جائر متعسّف :[3]

أقيموا بني أميّ صدور مطيّكـــــــم فانّي الى قوم سواكم لأميـــــل

فقد حمّت الحاجات و اللّيل مقمـــــر وشدّت لطيّات مطايا و أرحـــل

و في الأرض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلى متعــزّل

ولي دونكم اهلون سيد عملـــّـــس وارقط زهلول وعرفاء جيـــــأل

هم الأهل لا مستودع السّر ذائـــــع لديهم و لا الجاني بماجرّ يخدل

---

[1] أحمد كمال زكي ، شعر الهذليين في العصرين الجاهلي و الإسلامي ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة – مصر – دط ، دت ، ص 106 .

[2] عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه و خصائصه ، الهيئة المصرية العامة .دط،1987،ص 46 .

[3] المرجع نفسه، ص46.

فالذّئاب والضباع مجتمع الشنفري الجديد وأهله الذي يفضّله الحقيقيين وقبيلته، لأنهم أحفظ للسر، واقدر على نصرته وحمايته، وفيها من الخصال ما لا يوجد عندهم ، إنها دلالة رمزية فيها ما فيها من التشهير بمجتمع البشر بكل سلبياته .

وهذا تأبط شرا يتمرد على القبيلة وأعرافها، محاولا فرض رؤيته عليها وإلاّ فإن في الأرض الواسعة ملاذا وملجأ له ، حيث يقول :[1]

إنّي زعيم لئن لم تتركوا عذلـــــي أن يسأل الحيّ عنّي أهل آفـــاق

أن يسأل القوم عنّي أهل معـــرفة فلا يخبرهم عن ثابت لاقـــــــي

لتقر عنّ عليّ السّن من نـــــدم إذا تذّكرت يوما بعض أخلاقـــي

وهكذا نجد نزعته التحرر من النظام الاجتماعي والنفور منه شائع في شعر الصعاليك ، ومعنى ذلك أنّ النظم الاجتماعية لا يتفقان ، فقد وجدت أو بمعنى أصّح شاعت الصعلكة لعدم وجود هده النظم الاجتماعية ومعنى ذلك أنه حيث يوجد نظام اجتماعي لا توجد الصعلكة ولو كظاهرة اجتماعية ، وهذا لا ينفي وجودها كحالات فردية ، فان الشذوذ لا يخلو منه مجتمع ، وهذه الحقيقة هي التي

تهدف للوصول إليها ، فان عدم وجود نظام اجتماعي وسلطته في المجتمع الجاهلي كان من الأسباب الأساسية في وجود الصعلكة كظاهرة .

وهذا عروة بن الورد يتحدث عن النظام الاجتماعي الذي كان يسود في قبيلته ، حيث كان هناك عدم التكافؤ بين أفرادها ، فالناس يعاملون حسب منازلهم ودرجاتهم ، حيث يظل الغني يلاقي التقدير والاحترام، وله صوت مسموع مطاع

[1] المرجع السابق ،ص 46.

تصغر أخطاؤه وإن عظمت وعندما يمن بالقليل من ماله يقال جواد كبير ، حيث يقول :[1]

و يلفى ذو الغنى و له جلال يكاد فؤاد ما حبه يطيـــر
قليل ذنبه و الذّنبجـــــــــمّ و لكن للغنى ربّ غفـــور

" ولقد أسهم البناء الاجتماعي للقبيلة ، بدور فعال في خلق جانب من جوانب التوتر بين الفرد وبين قبيلته التي ينتهي إليها ، في حين أسهم العقل الجماعي في خلق جانب من جوانب هذا التوتر " [2] *

وعلى هذا فقد كان انقطاع الصلة بين الصعاليك وقبائلهم بفعل انعدام التوافق الاجتماعي أحد أبرز العوامل التي أدّت بهم إلى حياة التصعلك ، أو فلنقل نقطة التحوّل أو الحد الفاصل بين حياتهم في ظلّ القبيلة بما فيها من توافق اجتماعي، وبين حياتهم المتصعلكة بما فيها من شذوذ .

وهكذا فقد اتّخذ الشعراء الصعاليك من الهامش نقطة الانطلاق ، رافضين الأعراف الاجتماعية السائدة ، منادين بضرورة التغيير وإحلال العدالة ، فجاء خطاب الصعلكة بمثابة خطاب المعارضة ، وقد صاحب خروجهم عن نظام المجتمع خروجا عن قواعده الفنّية التي كرّسها شعر القبيلة بما فيه من نمطيته وتقليد .

---

[1] عروة بن الورد : الديوان، ص 51 .

[2] عبد القادر عبد الحميد زيدان : التمرد و الغربة في الشعر الجاهلي ، ص 61 .

*يقصد بالبناء الاجتماعي الطبقة التي تسود المجتمع ، أما العقل الاجتماعي : فهو سيطرة رأي الجماعة دون الفرد .

2. 3.الظّواهر الطبيعية :

لا يختلف اثنان في أن الحياة في الصحراء العربية هي الكفاح ضد الطبيعة ، خاصة في ظل انعدام الإمكانيات والوسائل اللازمة لمواجهة قوتها ، وحتى و إن توافرت هذه الوسائل فلن يكون بمقدور الواد الأعظم من سكانها الاستفادة منها ، فالفقر سمة مميزة لهؤلاء وعلى عكس ما يخطر ببالنا من أنّ الصحراء هي حر وجفاف وقحط على طول الخط ، فالواقع يقول إن الصحراء كثيرا ما تشهد العواصف العاتية والامطار الجارفة وموجات البرد القاسية ، أي أنها تتميز بالنقيض وفي كلاهما يعاني العربي الأمرين ، و خير من صور هذا التناقص في قصيدة واحدة الشنفرى ، حيث يقول واصفا ليلة شديدة البرودة :[1]

وليلة نحس يصطلي القوس ربّـــها و أقطمته اللاتي بها يتنبـــــــّل

حيث يضطر صاحب القوس إلى إشعال قوسه ونبله التي يدافع بها عن نفسه لكي يستدفئ من قسوة البرد ، وكما نعلم فإن السّلاح هو أعز وأغلى ما يملك الفارس، ثم يقول واصفا يوما شديد الحر : [2]

ويوم من الشعرى يذوب لعابـــــه أفاعيه في رمضائه تتململـــــــل

وما تبدو الأفاعي والحياة برغم تعوّدها على شدّة الحّر والهجير ، تضطرب وتململ لعدم قدرتها على تحمّل حرارة الشّمس الحارقة.

" فالصّحراء فضاء متسع ترحيب، يملأ جوانب النفس خشية ورهبته ، وبحر من الرّمال المختلفة الألوان لا ساحل له، وجبال جرداء سامته يرتد عنها البصر وهو

[1] الشنفرى : الديوان ، شرح و تحقيق : اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط2 ، سنة 1996م ، ص 69 .

[2] المصدر نفسه، ص 71.

حسير وصخور صماء عاتية، وشمس قوية محرقة كصب شآبيب من شواظ يتلظىّ لهبا، وريح زقوف، وسيول متدفقة، وماء عذب، ظل كريم ..... "[1]

لم يقف تأثير البيئة على توليد الإحساس بالرغبة في التمّرد والثورة على المجتمع فقط، بل هيأت هذه الطبيعة عوامل مساعدة على ذا التمرد بأن وفّرت لأولئك الثوار وقطاع الطرق جبالا وجحورا ساعدتهم على التخفي والهروب من الملاحقة، كما أن شناعتها ووعورة مسالكها تجعل من الّذين يطلبونهم يرهبون الدّخول في تلك المتاهات المخيفة، وليس غريبا أن يقتحم ذلك من مهالك إلا دليل على ذلك، ومن ثم فإن التمرد وثيق الصلة بالظروف الطبيعية والبيئة الصحراوية، وهو إن لم يكن وليد هذه الظروف فان هذه الأخيرة لهي أحد أبرز العوامل المؤدية إليه .

1.4.التمرد و الخروج عن الأعراف السائدة :

إن الشذوذ وسوء الخلق لا يكاد يخلو منه مجتمع، وكان يقابل في الجاهلية بنظام قبلي صارم، وبعقوبة شديدة ،" فقد كانت القبيلة تتبرأ من الشخص الذّي تكثر جرائره وجناياته بأن تعلن في مواسم الحج أو الأسواق أنها خلعت (فلانا) فلا تطالب به إذا اعتدي عليه، ولا يلحقها من جريرته شيء إذا اعتدى على أحد فعرف هؤلاء بعد ذلك بالخلعاء مثل قيس بن الحدادية ، الذي خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على نفسها بخلعها إيّاه ، فلا تحتمل جريرة له ، ولا تطالب بجريرة يجرَها أحد عليه "[2]

إنّ هؤلاء الصعاليك فرغوا حياتهم لمزاولة الأعمال العدائية من سطو ، وقطع للطريق واعتداء على الممتلكات ومن هؤلاء: الأحيمر السعدي وأبو الطمحان القيني، وصخر الغي الهذلي وغيرهم كثير.

---

[1] عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر ، القاهرة – مصر – ، ط2 ، د ت ص 21 .

[2] أبو الفرج الاصفهاني : الأغاني ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان – ط8 ، سنة 1990 م ،ج14 ، ص 137.

3.تعريف بالشعراء الصعاليك :

3. 1.عروة بن الورد :

" شاعر فارس من بني عيسى لا يعرف تاريخ مولده ولا مكانه ، وأما وفاته فكانت في : 616 م ، وقد كانت قتلا على يد رجل من بني طهية "[1]

لقب " بعروة " لأنه كان " يجمع حوله الصعاليك والفقراء في حظيرة ويغزو بهم ويرزقهم مما يغنمه " [2] ، " ولديوان عروة طبعات متعددة منها المحقق ومنها غير المحقق ، ومن تلك المحققة واحدة لمحمد بن أبي شنب " [3]

3. 2.تأبّط شرا :

" هو ثابث بن جابر من قبيلة فهم "[4] ، " شاعر صعلوك كانت معظم غاراته على هذيل وبجيلة "[5] وقد طبع ديوانه بتحقيق دقيق قام به عليذو الفقار شاكر.

3. 3.الشّنفرى :

إختلفت الكتب في نسبته فهو : ثابث بن أوس الأزدي ، وعمرو بن مالك الأزدي ، وقد لقّب بالشّنفرى لأنّه " كان على ما يبدو غليظ الشفتين لانحداره من أم

---

[1] ديوان عروة بن الورد ، شرح ابن السكيت ، تقديم : راجي الاسمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت–لبنان ، ط2، سنة 1997م، ص 7– 9 .

[2] المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د.جوادعلي ، جامعة بغداد ، ط2 ،سنة 1993م، ج : 4 ، ص411

[3] عروة بن الورد، الديوان ،ص 9 (المقدمة)

[4] خزانة الأدب : البغدادي ، ت : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة – مصر ، ط4، سنة2000م،جزء1، ص137.

[5] تاريخ الأدب العربي : د . ريميس بالشير : تر: د. إبراهيم الكيلاني، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، الدار التونسية للنشر ، تونس، سنة 1986 م ، ج: 1 ، ص 289 .

حبشية " [1] ، وفي بعض المصادر أن الشنفرى اسمه لا لقبه تؤرخ وفاته نحو سنة : 70 قبل الهجرة وكما تذكر بعض المصادر أنه إبن أخت تأبط شرا ، يعد من أشهر الشعراء الصعاليك بلا ميته التي لقيت إهتماما بالغا قديما وحديثا .

4. طوائف الصعاليك ومناطق إغارتهم :

تشكّل الصّعلكة في سياقها التاريخي العقاب الاجتماعي الأمثل لأولئك الأفراد الخطرين الذين لا يعترفون بالأعراف ولا يعرفون لهم سلطة ولا سلطان ، هم الذين لا تملك القبيلة وسائل كافية لتحمل تبعات أفعالهم ، كما أنّهم الأشخاص الذين يحترمون مبادئ الطاعة والولاء المطلق لمنطق الجماعة ، وقد كوّن الصعاليك عصابات تنقلت من مكان إلى آخر تسلب المارة وتغير على أحياء العرب ، لترزق نفسها ومن يأوي إليها ، وتكون أكثر الصعاليك من الشبان الطائشين الخارجين عن أعراف قومهم . ومن الذّين لا يبالون ولا يخشون أحدا ، من القبائل العربية المختلة ، فقد صاروا قوة يخشى منها ويحسب لها حساب ، خاصة وفيها شعراء فحول يحسنون الهجاء ويتقنون فن سلب الأعراض ، وفيها مقاتلون شجعان لا يعبؤون بالموت، يفتكون بما يريدون الفتك به ، خافهم الناس وامتنعوا جهد امكانهم من التحرش بهم ومعادتهم،" ومنهم من قبل جوار الصعاليك ورد عنهم وأحسن إليهم ، فاستفاد منهم واستفادوا منه"[2]

وقد تكوّنت هذه العصابات من طوائف مختلفة كانت تمد مخزو نها ، وذلك تبعا لاختلاف ظروف وأسباب تصعلكها والمتتبع المتمعن لأخبار هؤلاء الصعاليك يمكنه أن يميز بين ثلاث طوائف رئيسية تشكلت منها عصاباتهم ، وهي على التوالي :

[1] د . يوسف خليف : الشعراء الصعاليك ، ص : 108 – 109 .

[2] جواد علي : المفصل في التاريخ الحره قبل الإسلام ، ج4 ، ص 413 .

4. 1.طائفة ا لخلعاء و الشذّاذ :

وهم أولئك الدين طردتهم قبائلهم من حماها، وتبرّأت منهم وأعلنت أنهم لم يعودوا ضمن وصايتها ولا تحت حمايتها ، فهم لا يمثلونها ولا تمثلهم ولا توجد صلة تربطهم بها ، وعلى هذا الاساس فهي لا تتحمل تبعات وما ينجر عن تصرفاتهم، ولا تحتمل لهم جزيرة ولا تطالب بأخرى يبرها أيد عليهم ، وكان هذا الإعلان يتم أو هذا التبرؤ عادة في الاسواق التي تؤمها القبائل العربية ، فينادى بأن فلان قد تم خلعه من قبيلته ، ومن يومها يصبح هذا الشخص بلا مأوى ولا حماية، فتصبح الصعلكة هي وسيلته الوحيدة لضمان حياته، وتأمين رزقه، وهذا بعد أن يقوم بمحاولات حثيثة من أجل الدخول في جوار إحدى القبائل الاخرى، ومن الذين يمثلون هذه الطائفة نذكر : حاجز الازدي ،قيس بن الحدادية ، وابي الطمحان القيني ...

4. 2.طائفة الأغربة السود :

فالعرب تطلق لفظ أو تسمية الأغربة على أولئك الأشخاص من أبناء الإماء السود أو الحبشيات ، الذين سرى إليهم السّواد من أمهاتهم ، وكانت العرب فيما عرف عنها تبغض لون السواد بقدر ما تحب لون البياض ، ومن ثم كان لونهم هذا حاجزا دون اعتراف آبائهم بهم ، ضف إلى ذلك فهم من الهجناء لان دمائهم ليست عربية صريحة بل خالطها دم أجنبي لا يصل في نقاءه الى درجة نقاء الدم العربي ، ومن أولئك : تأبط شرا، الشّنفرى، والسّليك بن السلكة ... " فالّسود بخروجهم من المجتمع و برفضهم له في الظاهر أو الباطن، يركزون على الفرد لا على النوع، فالفرد عندهم كما هو الحال عند الوجوديين، هو الوجود الحقيقي، أما النوع الانساني فصوره ليست لها حقيقة خارجة عن الوجود، ومن كان الفرد المحسوس هو الوجود الحقيقي، فإنّه لا ينبغي التضحية به من أجل صورة لا وجود لها في عالم الحقيقة " [1]

[1] عبده بدوي : الشعراء السود و نصائصهم في الشعر العربي ، الهيئة المصرية للكتاب ، القرهرة – مصر – د ط ، 1988 ، ص 316 .

فهم بخروجهم سعوا إلى إثبات ذواتهم وكفاءتهم للعرب البيض أو الصّرحاء ومحاولة انتزاع الاعتراف المغيب بهم ، كلّ يمثل نفسه .

3.4.طائفة الفقراء المتمرّدين :

وكان القاسم المشترك بين أفراد هذه الطائفة هو الفقر المدقع، إنّه الفقر الذي يغلق ابواب الحياة والذي يدفع بصاحبه إلى نوع من عدم التوافق الاجتماعي، فيصبح منه متمردا ساخطا على المجتمع الذي يعيش فيه، وكانت صعلكتهم تنطوي على أفكار فلسفية ومسوغات نظرية، تحمل بذرة الثورة على الأوضاع السياسية والاقتصادية وغيرها من الأوضاع التي ترفع أناسا فوق الرّؤوس وتضع أناسا في الحضيض الأسفل، ومن الذّين جسّدوا هذه الطائفة :

عروة بن الورد ومن كان يلتف حوله من فقراء العرب وكذا تلك الجماعة الكبيرة من صعاليك هذيل " حتى عرف على هذيل أنّها قبيلة الغزاة والشذاذ، أجل كثر فيها هؤلاء الذين اعتادوا أن يقيموا حياتهم على ما ينهبونه من غيرهم، فكنّا بذلك نرى الصّراع يأخذ طريقين : طريقا جماعيا ترضاه القبيلة وترسم له وتسير فيه، وطريقا فرديا كان في الحق بابا هاما من أبواب الرزق في حياة الصّعاليك الذؤبان."[1]

وإذا كان الفقر أهم الدوافع الى الصعلكة فإنّ ما يميز الصعاليك عن غيرهم من الفقراء أنهم رفضوا أن يعيشوا عالة على غيرهم، أو أن يجعلوا من أحد الناس عمادا لهم ، في حين رضي بعض الفقراء لأنفسهم عيش الذّل واستدرار الحسنات، ويعبّر أحد الصّعاليك الإسلاميين ، وهو بكر بن النكاح عن هذا المعنى فيقول: [2]

و من يفتقر منا يعش بحمامه و من يفتقر من سائر الناس يسأل

[1] أحمد كمال زكي : شعر الهدليين في العصرين الجاهلي و الإسلامي ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة – مصر – د ط ،سنة 1969 ، ص27 .

[2] عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه و خصائصه ، ص 18 .

فما الصّعلكة إلاّ أسلوب اجتماعيا ارتضوه لأنفسهم ونمط اعتمدوه لحياتهم، لا يرون فيه وصمة العار، بل هو مذهب آمنوا به ، يرون فيه كرامة لهم تمنع مذّلة سؤال أهل المن والتطوّل " ولم تعد (الغارة) سرقة أو عملا مشينا يلحق الشين والسبّة بمن يقوم به ، بل افتخر بالغارات وعدّ المكثر منها (مغوارا) لما فيها من جرأة وشجاعة وإقدام "[1]،" وكانت أكثر المناطق التي يغيرون عليها مناطق الخصب ، وكانوا يرصدون طرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج القاصدة إلى مكة ، ومعنى ذلك أنهم كانوا ينتشرون حولها في الجبال السراة. كما كانوا ينتشرون بالقرب من الطائف والمدينة وأطراف اليمن الشمالية، كل هذه الجهات يكثر هؤلاء الذؤبان من قطاع الطرق وقراصنة الصحراء"[2].

ويبقى الشيء الأساسي أن نعرف أن هؤلاء الصعاليك أبو إلا الاعتماد على أنفسهم ، وفق الأسلوب الذي اختاروه لحياتهم ، فكان يجمعهم إحساس واحد هو أنهم مظلومون في الحياة ، وعلى هذا الأساس قرروا رفع هذا الظلم عندهم بسواعدهم، وقد اتسموا بجملة من الصفات النفسية والجسدية التي ساعدتهم على تحقيق أهدافهم ولو بصورة نسبية .

" فعلى الرغم من حالة الفقر التي كانت تستوطن حياة الصعاليك ، فإنهم كانوا أصحاب مبادئ ومثل ، وهم كرماء أجواد حتى ضرب بهم المثل في ذلك ، قال ابن الأعرابي : قال عبد الملك بن مروان : عجبت للناس كيف نسبوا الجود والسخاء لحاتم وظلموا عروة بن الورد... "[3]، ووصفه الأصمعي بأنه شاعر كريم، وكرم الصعاليك كان مما يغنمونه من غزواتهم في أرجاء الصحراء المترامية، وكانت

[1] جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج 5 ، ص100

[2] شوقي ضيف : تاريخ ، الادب العربي – العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر – ط24 ، سنة 2003 ، ص 376 .

[3] عروة بن الورد : الديوان، ص 55 .

الغنائم ترفعهم في لحظة من اللحظات إلى مراتب السادة الأغنياء ، فقد كان النهب والسلب وسيلة من وسائل البذل و العطاء ، يقول أبو خرّاش : [1]

لقد علمت أم الأيير أنني أقول لها هدّي و لا تذخري لحمي

فإنّ غدا إن لا نجد بعض زادنا نفيء لك زاد أو نعدك بالأزم

و يقول عروة بن الورد :[2]

إنّي امرؤدانائي شركة وأنت امرؤ عافي إناتك واحد

أتهزأ مني أن سمنت و إن ترى بوجهي شحوب الحق و الحق جاهد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة و احسو قراح الماء و الماء بارد

وهو القائل أيضا :[3]

فراشي فراش الضيف و البيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقتنع

أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنّه سوف يهجع

وكان الصعاليك يتصفون بالشجاعة أيضا، وهده الصفة رمت الرعب في قلوب أعدائهم، حتى إن فارسا من فرسان الجاهلية المعدومين وهو " عمرو بن معد بكرب " يصرح أنه لا يخشى أحدا من فرسان العرب إلا أربعة ، أحدهم السليك بن السلكة ...

ونظرا لفقر الصعاليك وعدم وجود مال يكفل لهم شراء مطايا يركبونها في غاراتهم ، فقد اعتمد أكثرهم على أرجلهم في طلب رزقهم، وعلى خفة حركاتهم وسرعتهم في الهروب من تعقب المتعقبين لهم في حالتي الفشل أو النجاح ، وهي

[1] ديوان الهذليين : القسم الثاني ، ص 125 .

[2] عروة بن الورد : الديوان، ص 38- 39.

[3] المصدر السابق : ص 61-62.

ميزة كادوا ينفردون بها عن مجتمعهم ، وهي ميزة العدو الخارق للعادة ، وهو ما يصورونه بأنه لا تسبقه أولا تلحقه الخيل، وقد اشتهر كثير من الصعاليك بهده الميزة منهم : الشنفرى والسليك وتأبط شرا وابن براقة، وأكثر ما كانت سرعة العدو شهرة في هذيل الذين كان أبو خراش فيهم أحد عشرة إخوة كلهم عداء لا تسبقه الخيل."[1]

وقد ضرب بهم المثل في قوة عدوهم من ذلك قول العرب:" أعدى من الشنفرى أعدى من السليك : هذان المثلان يقودان إلى معالجة ظاهرة الصعلكة التي تعتبر محطة المفارقات في بنية العلاقات الاجتماعية الجاهلية، وباعثها الأول كان الاضطهاد والفقر المدقع والنضال في سبيل استرداد الأنا من مغتصبيها، وبواعث الملل تلك الأنا التي خلعت من كيان صاحبها حين خلع من القبيلة."[2]

وتحاشيا للإطالة وبواعث الملل لن نسترسل في إيراد المزيد من صفات ومآثر هؤلاء فيكفي القارئ أن يتصفح ما احتواه كتاب الأغاني[3]، من أخبارهم ليقرر بنفسه تلك الصفات الخاصة التي ميزت تلك الطائفة الخاصة في أدبنا العربي القديم.

[1] عبد الحليم حنفي : شعر الصعاليك منهجه و خصائصه ، ص 88 .

[2] محمد توفيق أبو علي : الأمثال العربية و العصر الجاهلي ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت – لبنان – ط1 ، سنة 1988م ، ص 69 .

[3] أخبار الصعاليك مركزة في الكتاب في الأجزاء : 13 و 20 و 21 .

الفصل الأول: أنماط صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك.

أولا: صورة المرأة العاذلـــــــة.

ثانيا: صورة المرأة الظاعنـــــة.

ثالثا: صورة المـــــــــرأة الأم.

رابعا: صورة طيف المـــــــرأة.

خامسا: صورة المرأة السبيـــة.

سادسا:ا لصورة المبتذلة للمرأة.

اعتبرت المرأة بمثابة الشيء الفريد الذي أثار خيال الشعراء القدامى فلا نكاد نقف على قصيدة إلا ونجد المرأة حاضرة، فقد أفردوا لها القصائد الطوال ليتغنوا بجمالها وذكائها.

وقد اختلفت نظرة الشعراء إلى المرأة باختلاف طبائع النساء حيث نجد عندهم المرأة العاذلة والظاعنة ، والعفيفة ، ... وغيرها من أنماط وصورالمرأة عند الشعراء الصعاليك .

ولعلَ الدارس لشعر الصعاليك سيقف على هذه الصورة ولأن حياة هؤلاء الشعراء كانت حياة قاسية آنذاك تستوجب نوعا من الحياة العاطفية الطامعة ففي جل أشعارهم تحدثوا عن المرأة ووصفوها بأجمل الصفات المادية منها والمعنوية.

وتظهر القراءة الفاحصة لشعر الصعاليك، إمكانية تشكل خمس صور للمرأة منها ثلاث صور مركزية، يمكن تجزئتها على النحو الآتي:

أولا: صورة المرأة العاذلة :

تبدو صورة المرأة العاذلة فاعلة وجلية في الشعر الجاهلي بشكل عام ، إذ أننا نجد على سبيل المثال لا الحصر ، صورة المرأة التي تلوم الزوج أو الرجل على إفراطه في الحب أو الكرم أو على إقدامه على الموت ، بيد أن هذه الصورة الواقعية للمرأة لا تنسحب ، والحال هذه ، على صورة عند الصعاليك ، لأن حضور المرأة عندهم ليس حقيقيا بقدر ما هو رمزي ، يعبر عن رؤاهم وتصوراتهم للمجتمع والحياة ،" فالمرأة في حياة الشاعر الصعلوك ليست زوجة أو حبيبة حقيقية تدفعه إلى التعقل و الركون إلى السكون والاستقرار، وإنما هي نسق ثقافي مضمر يجسد حقيقة الصراع بين الصعلوك في القبيلة وشخصية العاذل والعاذلة ، كما يشير الغذامي تعدّ تورية ثقافية ، وإفراز للضاغط النسقي الذي يفرض شروطه على معطيات الثقافة ،

فيخلق شخصية العاذل الثقافي الذي يتمتع بأقنعة متعددة ليفرض شروط النسق الفحولي، وينسخ أي خطاب آخر مضاد لفحولية الثقافة وشخصية الفحل الجبار "[1]

والمتتبع لظاهرة العذل في شعر الصعاليك يستطيع أن يلاحظ أن المرأة العاذلة في هذه الظاهرة كانت دائما حريصة على الشاعر مشفقة عليه، ترجو له العقل وتدعوه إلى الهدوء، وكانت صوت العقل الراجح الواعي، محاولة إحداث انسجام وتوازن في تصرفاته...

ولكن الصعلوك غالبا ما كان يرفض الانحدار وراء إغراء الصوت الأنثوي الذي يحاول أن يرده عن مبادئه وأهدافه، متبعا كل الوسائل الممكنة والمتاحة للتأثير عليه.

" والشاعر يخالف هذا الصوت لا لازدراء بالمرأة العاذلة وانتقاصا من شأنها ، ولكن مبالغة فيما هو فيه وإصرارا منه عليه، لأنه يرى في ذلك معنى جديدا يضاف إلى ما يفتخر به من مكارم الأخلاق ومن القيم والخصال الحميدة ، فاستعان بهذه الوسيلة غير المباشرة للتعبير عما يريده."[2]

حيث كان لزاما على الشاعر الصعلوك أن يلتمس لنفسه مخرجا وتنفيسا لما في صدره، فاتخذ من العذل معرضا له لتبرير أفعاله وإبراز قيمة أفكاره ومبادئه ومكانته التي يحملها في نفسه وقد عمد الصعلوك في ذلك إلى خلق ما يشبه الحوار بينه وبين المرأة العاذلة .

فالقول والحوار في عرف المجتمع يرتبط و يقترن بضرورة الإصغاء إلى ما يمليه النسق السلطوي.

---

[1] عبد الله الغذامي : الزواج السردي ،الجنوسة النسقية ، فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عدد 61 – شتاء 2003 م ، ص 78 .

[2] علي أبو زيد ، ظاهر العذل في شعر حاتم الطائي ، مجلة جامعة دمشق – المجلد 18 العدد 1 ، 2002 ، ص86.

ومن النصوص الشعرية التي تتجلى من خلالها صورة المرأة العاذلة عند الشعراء الصعاليك قول عروة بن الورد:[1]

أقلي عليّ اللّوم يا ابنة منـــــــذر ونامي ، فان لم تشتهي النوم فاسهري

ذريني و نفسي أم حسان ، إنّنـــي بها قبل أن لا أملك البيع مشتـــــري

أحاديث تبقى و الفتى غير خالـــد إذا هو أمسى هامة تحت صيـــــرّ

تجاوب أخبار الكناس و تشتـــكي إلى كل معروف تراه و منكـــــــر

ذريني أطوّف في البلاد لعلنـــــي أخليك أو أغنيك من سوء محضـــــر

فان فاز سهم المنية لم أكـــــن جزوعا ، و هل عن ذاك من متـــأخر

و إن فاز سهمي كف كعم عن مقاعد لكم ذلن أدبار البيوت و منظـــــر

تقول : لك الويلات هل أتى تـــارك ضبوعا بربل غارة و بمنســـــــر

و مستثيك في مالك العام إنّنـــــي أراك على أقتاد صرماء مذكـــــــر

فبوع بها للصاليين مذلّـــــــــة منوف رداها أن تصيبك فانـــــــذر

فهذه الأبيات تقدم لنا تصورا فلسفيا للشاعر الصعلوك حول جدلية الموت والحياة من خلال الصراع مع المرأة العاذلة.

وتظهر صيغ الأمر أقلي عليّ، ذريني ونفسي، ذريني أطوّف" عن الذات التي ترفض صوت الآخر، لتغدو ممتلئة وقادرة على جعل الآخرين يصغون لصوتها وفكرها .

ويبدأ عروة صورته بحديث مع زوجه التي تحاول أن ترده عن أسلوب حياته وطريقة تصرفه في ماله، وهنا تكون الزوجة متخذة من مكانتها دافعا لثني الصعلوك،

[1] الأصمعي : الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ، دار المعارف مصر ، ط 7 ، 1993 م ، ص 43 – 45 .

وبالرغم مما يبدو من قهر للآخر وتسلط عليه إلا أن ملامح استقلاليته ظاهرة وجلية، فالزوجة تلومه بقسوة وإلحاح لدرجة ضجره فيدعوها إلى النوم للخلاص وبعد ذلك يستدرك الذي قام بتوجيهه إليها بقوله " فان لم تشتهي النوم فاسهري " وهو بذلك يؤكد حضور ذات المرأة واستقلالية رأيها، بالإضافة إلى أن الفعل " نامي " يبدو أقرب إلى طلب منه إلى أمر .

في البيت الثاني نلتمس انخفاض حدة الانفعال لدى الشاعر محاولا التهدئة من روعها حيث نجده يطلب منها أن تتركه مع حاله يسعى في حياته قبل أن تنال منه الموت.

ولهم الزوجة هنا مردّه سلوك الصعلوك " عروة " فهي تسعى إلى إدخال الرهبة والخوف إلى قلبه حتى تبعده عن أفعاله المجازفة وهذا ما نستدرجه ابتداء من البيت الثامن.

ثم تعود وتذكره بأنه سيأتي يوما يكون كنتيجة حتمية لتصرفاته المتهورة ويصبح غير سالم. لأنه وكما نعلم أن مصدر الكرم عند الصعاليك هو المال الذي يجمعونه من غاراتهم المستمرة، وبهذا تكون الزوجة مشفقة عليه.

ولكن هيهات أن لهذا الصعلوك المتمرد أن يقصر كلام العاذلة أو أن يغير من عزيمته وهذا ليس لازدراء شخصيتها أو احتقاره لها وعدم مبالاته برأيها ، وإنما قناعته وعقيدته التامة لصواب رغبته، والدليل على ذلك سعيه لإقناعها وتهدئتها بالحوار وإياها وإبراز الأسباب التي جعلته يقدم على فعل هذه الأغوار.

" فالشاعر هنا أبى الموت لدرجة اندفاعه إليها لبلوغ المجد والبطولة كي يكون في حياته شيء يعتز به ويفاخر بآخره من عمره، قبل أن تدور عليه كأس المنية وحتى تنشر على قبره روعا بعد أن تتخرمه يد الردى. "[1]

[1] حسين عطوان : شعر من القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف – القاهرة – مصر – د ط ، د ت ، ص 299 .

وهو يطلب من زوجته أن تتركه وشأنه يجول الأرض غازيا، إما أن ينتصر ويحقق رغبته وإما أن يموت وتطوى صفحة غزوه.

" إنَ مفهوم صورة الجمال عند عروة يرتبط بالعمل القيم ، فما فما دامت الحياة قادرة على تحقيق هذا العمل فهي جميلة ومطلوبة، لكنها إذا عجزت عن ذلك فالموت أجمل منها بكثير، إن في مثل هذا الفهم سموا مبكرا لإدراك قيمة الوجود والعدم حقا. "[1]

كذلك يظهر دافعا آخر للصعلوك للاستمرار في الحياة التي هو عليها إذ يوجه خطابه إلى عاذلته:

ابن الخفض من يخشاك من ذي قرابة و من كل سوداء المعاصم تعتــري

فهو يصف حالة الدنو وانخفاض العيش التي ستؤول إليها حالتها إن ترك سعيه وكسبه، و يجبرها بالمنزلة الدنية التي ستنزل إليها لأنها لن تملك قرى ضيوفها من ذوي القرابة، وبذلك يكون ساعيا إلى لفظ مكانتها حتى لا تضل في دائرة الذل وامتهان الكرامة.

إن عروة من هنا يكون قد اتخذ من أسلوب العذل وسيلة لينفذ منه الحديث عن أبرز الصفات التي عرف بها كالبطولة والكرم.

أمَا صورة العاذلة عند تأبط شرا فقد جاءت مغايرة لما كانت عليه عند الشعراء الصعاليك، ذلك أن العذل عنده متميز بتداخل وتمازج بين الصوت الأنثوي والذكري، حيث نجده يبدأ صورته بخطابه الموجه للعاذل الرجل لا المرأة، حيث يقول:[2]

بل من لعذالة خذالة أشـــــبّ حرّق باللوم جلدي أي تحـــــراق

يقول أهلكت مالا لو قنعت به من ثوب صدق و من بذ و أعلاق

[1] خالد الزاوي: تطور الصورة في الشعر الجاهلي، ص 124.

[2] تأبط شرا: الديوان، ص 43.

عاذلتي ان بعض اللوم محقّة وهل متاع و إن أبقيته بـــــــاق

إنّي زعيم لإن لم تتركي عذلي أن يسأل الحي عني أهل آفـــــاق

وتبرز نقطة الاختلاف الأولى عند تأبط شرا في اتخاذه صوتا ذكريا لعاذلته، وهذا ربما لأنه أحس بحاجة إلى تفسيرات منطقية لتصرفاته بعيدا عن الوجدانية والعاطفية التي عرفت عن خطاب المرأة " ولذا كان أجدى بهذه العاذلة اتخاذ أسلوب جديد يستند إلى منطق العقل الذي ... الفحولية المنسجمة مع عالم الصعلوك، أملا في إرجاع هذا الصعلوك الثائر إلى منظومة القيم والأعراف السائدة."[1]

والعاذلة في هذا الموقف أو هذه الحالة تلوم الصعلوك ليس لخروجه مخاطرا بنفسه ، وإنما لومها له ليعود بسبب إفراطه في الكرم والجود، مما ينعكس سلبا على حياتها لأنه يجلب لها لقفر والعيشة المزرية.

يبدأ تأبط شرا صورته بإبدائه للضجر والتذمر لكثرة العذل والاعتراض على تصرفاته وسلوكاته لدرجة حرق جلده وهذا ما يؤكده تكرار الألفاظ الدالة على العذل (عذالة، اللّوم، عاذلتي، اللوم، عذلي) .

والتي هي نفس الفكرة عند العاذلة التي تقوم بتزين البخل والإمساك بالمال، لكن موقف الشاعر غير راض عن هذا ويراه عنفا، لأن هذه الأموال ليست خالدة حتى ولو حافظ عليها أشد المحافظة، ويهدد الشاعر إن لم يتوقف العذل بالرحيل وهذا رد يختلف عن ردود الشعراء الآخرين على العاذلة الذين كانوا يطالبونها بالتخفيف أو التقليل أو التمهل أو إعلان العصيان. ولاشك أن موقف تأبط شرا هذا ينسجم مع رؤية الصعاليك إلى طبيعة العلاقة مع الجماعة.

فعند تأبط شرا تكون الاستجابة للعاذلة. قد اتخذت شكل الانفصام والرحيل " وهنا يبدو ذلك التداخل المقصود الذي يقرن فيه الشاعر بين عالم المرأة وعالم

[1] يوسف عليمات، صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة البحرين، العدد14، صيف 2007.

الصعلكة في سبيل التعويض النفسي، إنه الفرار منها إلى عالم الرفاق كما كانت إشكالية الفرار من القبيلة الى الطائفة، أو رفض القبيلة الى القوم أو الحي ، ولكنه الفرار المؤقت الذي لا يستقيم الموقف إلا من خلال إعادة النظرية طبيعة العلاقة الحتمية بعالم المرأة، حين تتحول من فتاة الشاعر القبلي صاحبة الطلل التقليدي الى الزوجة صاحبة الصعلوك الفارس."[1]

وإذا كان الشعراء الصعاليك قد وجهوا الخطاب صريحا الى العاذلة من خلال ذكر أحد الفاظ العذل، فإن هناك صورة لهذا العذل (المقدر أو الخفي) " وهو الذي لا يصرح فيه الشاعر بلفظ من ألفاظ العاذل بل يقدر لإنشاء ما يشبه الحوار، وربما يصرح باسم المرأة، ويخاطبها دون أن يشير الى أنها عاذلة. غير أن بفهمنا نجد أن الأبيات يبوح بأنها عاذلة لائمة، وأنه يرد على ما سمع من عذلها، ويحاول إقناعها بصحة ما هو عليه."[2]

ومن النصوص التي جاءت وفق هذا النوع قول أبي خراش الهذلي :[3]

لعمري لقد راعت أميمة طلـعي و إن ثوائي عندها لقليـــــل

تقول أراه بعد عروة لاهـــــيا و ذلك رزء لو علمت جليـــل

ولا تحسبي أنَي تناسيت عهده و لكن صبري يا أميم جميـــل

ألم تعلمي أن قد تفرَق قلبـــنا ذليلا صفاء مالك و عقيـــــل

أبى الصبر أني لا يزال يهيجني مبيت لنا فيما خلا و مقيـــل

[1] يوسف خليف : أحراق في الشعر و نقذه باقي معلومات الابيات ، ص 184 .

[2] علي أبو زيد : ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي ، ص 84 .

[3] ديوان الهذليين : القسم الثاني ، ص 116 – 117 .

إن من خلال دراسة وفهم محتوى هذه الأبيات تبدو لنا عاذلة أبي خراش متخذة أقوى صدر العذل وأشدها حدة، و لعل الدافع للعذل له أثره في هذا، لصعوبة الامر وخطورته لأنها قد تكون مسألة شرف وكبرياء وقد يتعلق الامر بالثأر كذلك لذا يستدعي تلك الجدة.

ومن هنا يكون منطلق اللوم والعتاب عند أميمة عاذلة الشاعر التي هي زوج "عروة بن مرة."

إذ يصور أبو خراش " أميمة " و قد اضطربت لرد بيتها للشاعر، وهذا تعبير حسي بليغ يجسد سخطها عليه وانفعالها اتجاهه عندما ما رأته يلهو مع ولد أخيه فيما ثأر أخيه معلق ينتظر من يأتي بحقه حيث رأت أن: الاخرى أن يذهب عروة ليأخذ بن ليس أن يضيع وقته مع أولاده الصغار.

إنَ هذا الموقف العدائي الغاضب من العاذلة للشاعر من المواقف القليلة التي قمنا بإحصائها في هذا الاتجاه، فكما هو معروف عموما في أشعار العذل الجاهلية أن المرأة العاذلة بالرغم من اللوم والعتاب الموجه للشاعر إلا أنها تظل محبة حريصة، ومشفقة عليه، غير أن الأمر بالنسبة لأبي خراش يختلف نوعا ما عما هو عند غيره كون العاذلة هنا ليست زوجة أو حبيبة الشاعر بل هي شخص غريب لدرجة ما، وعلى هذا الأساس اختلف أسلوب عذلها وطريقته فاختلفت الصورة عن سابقتها.

أمَا عروة بن الورد فهو لن يبتعد بكثير عن موقف رفيقه في الصعلكة وسيضعنا أمام نفس الطرح وذلك في نص آخر يقول فيه:[1]

تقول ألا أقصر من الغزو واشتكى لها القول طرف أحور العين دامع

ســـأغنيك عن ربع الملام بمزمع من الأمر لا يغشو عليه المطـــاوع

[1] عروة بن الورد: الديوان، ص 61.

لبوس ثياب الموت حتى إلى الـذي يوائم إما سائم أو مصـــــــارع

وفي هذا الموقف نجد المرأة العاذلة تحاول استخدام وسيلة أخرى لتثني الصعلوك عن رحلته في الغزو والتشرد، فإن كانت امرأة بن برَاق تحتال القول محاولة بذلك ابعاد الصعلوك عن عالمة وصنع القطيعة بينهما، فإن امرأة عروة تتخذ حيلة مغايرة لتحقيق نفس الغرض، مستخدمة جمالها وأنوثتها، وهي في ذلك تسيطر على مشاعر وأحاسيس الشاعر لتؤثر فيه، لأنها تشتكي وتبكي(حور العين رائعة الجمال) وفي ذلك تعلق وهيام.

كما أنَ ما تريده الزوجة لزوجها هو الاستقرار والهدوء في الحياة بعيدا عن قساوة الغزو ومخاطر الليل والبيداء وإن لم يكن لأجله فمن أجلها هي.

ولكن الصعلوك يجيب بمنطقه القوي ويرفع رايه الرفض التشرد والتحدي، ولا يدخل معها في الجدال وإنما يرد عليها عن طريق العمل ويخبرها بقراره بتحدي الموت حتى آخر لحظة من حياته.

" ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الشاعر الصعلوك اعتمد في رسم صورة العاذلة على تقنية الحوار والاقناع، وهو إذ يستمع إليها ويتلو بواعث لومها ثم ينزع إلى محاورتها ومحاولة إقناعها بصواب رأيه عن طريق مقارعة الحجة بالحجة، فهو إنما يقر بكفاءة هذه المرأة ورجاحة عقلها ومقدرتها على التعامل مع المواقف وتفسيرها فهو ينزل هذه المرأة منزلة العاقل الخبير المدبر، ويلتمس لها منزلة حميدة من خلال وصفها في المركز الذي يؤهلها للمشاركة الفعلية لحياة الرجل وضمان المستقبل، من خلال تصرفه الذي لا يرضيها في بعض الأحيان، وهذه الصورة تكشف عن قيمة المرأة ودورها في التوجيه السلوكي للرجل."[1]

ولكن هذه المشاركة لا تتعدى حدود الإصغاء لخطاب تلك العاذلة بالنسبة للصعلوك دون أن تحدث استجابة أو التغيير في سبل حياته.

[1] نوري حمودي القيسي : الحوار في القصيدة الجاهلية ، ص 5 .

"غير أنَ ما يمكن استخلاصه أيضا وفي الأخير أن حوار العاذلة أيضا قد يكون مختلفا وغير منطقي فشخصيتها متخفية ويصعب تحديد ملامحها لأنها مكتفية بإلقاء اللوم في مقدمة القصيدة وهنا يتوقف دورها، ونادرا ما نجده لها حضور بعد ذلك ومعنى ذلك أن الشاعر ربما اتخذ من العاذلة ذريعة لنقل الحوار الداخلي في نفسه بين طمع المال واقتفاء أثر الآخرين، و بين التمرد والتوسل به للخير والمحبة."[1]

فالصَعلوك يخاطب عاذلته ظاهرا ولكنه يضمر ويخفي حديثا بينه وبين نفسه في فهم معنى الحياة وأشيائها.

[1] علي أبوزيد : ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي ، ص 85 .

ثانيا: صورة المرأة الظاعنة :

شعر أيَ شاعر هو في الحقيقة جزء من ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه هذا الشاعر، يحاور ثقافة هذا المجتمع ويغنيها،" وقد يتمرد عليها، لكن لا مناص له من الانتماء إليها، فهي التربة التي تحذوه وفيها يشب ويترعرع، وإذن هو تعبير جمالي عن مرحلة تاريخية متعددة مراحل تطور هذا المجتمع ..."[1]

إذن فالشاعر يجسد بشعره صورة أخرى لظروف مجتمعة وخصائصه وهذا ما ينطبق على شعراء الجاهلية بعامة والشعراء الصعاليك بخاصة.

والنقطة الحاسمة في الموضوع أن نتذكر مجتمع الجزيرة العربية في هذه المرحلة من تاريخها الذي كان يعرف أسلوبين من أساليب الحياة الاجتماعية، مجتمع البادية والقبيلة المتنقلة، ومجتمع المدينة والقبيلة المستقرة، وهي تسمية لا حظها العرب منذ أقدم العصور أثناء حديثهم عن أهل الوبر وأهل المدر واصطلاحهم على تسمية البادية بالأعراب وسكان المدينة بالعرب، وهذا الاصطلاح جرى التعبير القرآني عليه في كل المواضع التي تحدث فيها عن هؤلاء الأعراب. لقوله تعالى: **{ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا}.**[2]

---

[1] وهب احمد رومية: شعرنا القديم و النقد الحديث، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، د ط ، مارس 1996 ، ص 179 .

[2] سورة الاحزاب : الآية 20 .

وقوله عز وجل:{ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**}.[1]

وكانت حياة هؤلاء البدو كلها ترحل وترحال، وكانت الطبيعة مساهمة بقدر كبير في طريقة عيشهم وأسلوب حياتهم ولأنها حرمتهم من الاستقرار وقست عليهم " فهم قطَان الصحاري يعيشون من ألبان الابل ولحومها منتجعين منابت الكلأ، مرتادين لمواقع الخطر، فيقيمون هناك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعي، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه، فلا يزالون في رحل وترحال."[2]

" فالطبيعة هي المسؤولة عن البداوة وعن انتشارها في جزيرة العرب."[3]

وكان تنقلهم مجهول العواقب في الفيافي القاحلة، معرَضين لوحوش ضارية، و صعاليك فاتكة، إضافة الى الصدام مع القبائل الأخرى.

وفي هذا الفضاء الذي يحكمه نضام الغاب والبقاء للأقوى، ظهر فرسان العرب وشجعناها محاربين الطبيعة، مقاومين لإرادة الموت مقدَمين أروع نماذج البسالة والاخلاق.

إلى جانب ذلك كانت حماية الضعيف وإجارته من المخاطر إحدى أهم صفاتهم التي يتفاخرون بها " ومن حماية الضعيف الدفاع عن المرأة، وهذا أول شروط الرجولة الحقَة، والدفاع عنها – فضلا عن أنه دفاع عن مخلوق ضعيف – دفاع عن العرض

---

[1] سورة التوبة: الآية 101.

[2] جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد (نشر)، ط 2، سنة 1993 م، ج 4 ، ص 271.

[3] المرجع نفسه، ص 272.

والشرف وهو أعظم ما يهتم به العربي، وكان من العار البالغ عند العرب أن تؤسر نساؤه ... "[1]

من هذا المنطلق كان السبي عارا كبيرا على القبيلة، وكان تنقل النساء آنذاك يسمين الظعائن من مكان لآخر ولا يكون هذا إلا برفقة بعض الفرسان حتى لا يتعرض للسبي، فكان هؤلاء الفرسان باسلون في دفاعهم عن ظعائنهم لأنهن شرف القبيلة وقدرها .

" إذن فقد كان العربي يبذل النفس رخيصة في سبيل الذود عن الظعائن والمرأة التي تركبها، وقد كان ذلك يعد شجاعة ومروءة ما بعدها مروءة، وقد اشتهر من فتيان العرب" حامي الظعينة وهو " ربيعة بن مكرم " من كنانه، وقصته مع فرسان دريد بن الصمة " فارس بني جشم مشهورة."[2]

أمَا رحلة المرأة الظاعنة ترتبط كما تبدو في القصيدة الجاهلية بأسباب قهرية كالطلل والحرب، تحول بينها وبين الثبات " ويلاحظ قارئ الشعر الجاهلي أن حديث الظعن ينتشر في صدور كثير من القصائد."[3]

ففي نص الصعلكة الأمر مختلف كل الاختلاف، فالنصوص التي تناول من خلالها الشعراء الصعاليك صدرة المرأة الظاعنة محدود جدا، ونجدها تنعدم في جانبها المتعلق برحيل المرأة حربا من نذير الحرب أضف الى ذلك" أن الشاعر الصعلوك لا يرى في المرأة الظاعنة حبيبة أو زوجة يؤرقه عشقها، ويسعى جاهدا الى الغناء بها أو البحث عنها، ولذلك فقد خلت نصوص الصعلكة من فكرة الرحلة

[1] عمر الدسوقي : الغدوَة عند العرب – أو أحاديث الفروسية و المثل العليا – دار نهضة مصر للطباعة و النشر ، الفجالة – القاهرة ، ط 4 ، د ت ، ص 129 .

[2] المرجع السابق، ص 343 ومابعدها.

[3] رومية أحمد وهب : شعرنا القديم و النقد الجديد ، ص 152 .

أو البحث عن الآخر."[1] ومردَ هذا كما يبدوا لنا ابتعاد الصعاليك عن القبيلة التي هي مرتبطة برحلة الظعائن ، فحياتهم الخاصة حرمتهم من الكثير من مشاهد الظعن.

فبدل أن يحنوا و يرقوا لحال هذه المرأة التي دفعت لترك موطنها نجدهم يترصدون طريقها ليجعلوا منها هدفا لغاراتهم.

إلاَ أن هذا كله لم يمنع شاعر كالشنفرى عرفت عنه غلاظته وقسوة طباعه من إبداع نص كامل في تصوير تلك المرأة الظاعنة وذلك في تائيته الشهيرة " ولعلها أروع ما تصل إلينا من مقدمات الشعر الجاهلي الغزلية في وصف المرأة المعنوي"[2] ، حيث يبدأ مقدمته بحديثه عن الرحيل والوداع، فيقول :[3]

ألا أم عمرو أجمعت فاستقلـــَت و ما ودعت جيرانها إذا تولَـــت

و قد سبقتنا أم عمرو بأمرهـــــا و كانت بأعناق المطي أظلـــَت

بعينيَ ما أمست فباتت فأصبحـت فقضَت أمورا فاستقلَت فولَـــت

فواكبدا على أميمة بعدمـــــــا طمعت فهبها نعمة العيش زلَـت

فيا جارتي و أنت غير مليمـــة إذا ذكرت و لا بذات تقلَـــــــت

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعهـــا إذا ما مشت و لا بذات تلفَـــت

تبيت بقيد النَوم تهدي غبوقهـــا لجارتها إذا الهديَة قلَـــــــت

تحلَ بمنجاة من اللَوم بيتهـــــا إذا ما بيوت بالمذمَة حلَّـــــت

---

[1] يوسف عليمات : صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، مجلة العلوم الانسانية ، كلية الآداب – جامعة البحرين ، ع 14 ، 2007 م ، ص 256 .

[2] يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي ، ص 152 .

[3] الشنفرى : الديوان ، ص 31 ، 32 .

كأنَ لها في الارض نسيا تقصَـــه على أمَها و إن تكلَمك تبلـــــت

أميمة لا يخزى نثاها حليلهـــــــا إذا ذكر النسوان عفَت و جلَـــت

إذا هو أمسى آب قرَة عينـــــــــه مآب السعيد لم يسل أين ظلـــت

فدقَت وجلت واسبكرَت وأكملـــــت فلو جنَ انسان من الحسن جنَت

تتحدث هذه الأبيات عن الأنموذج الانثوي فيظهر في صدرة متكاملة ضمن أبعاد ثلاثة: البعد النفسي، البعد الاجتماعي، والبعد الجسمي، حيث جسدت هذه القصيدة الصفات المعنوية والنفسية، فزوجته كما يصورها خجول شديدة الحياء عفيفة لا تتناولها الألسن، ولا تكتر من التلفت حتى لا تجلب إليها الشبهات، بل تسير غاضَة بصرها وهي لشدة حيائها تنقطع في الحديث ولا تسترسل في الكلام فهي حريصة على سمعتها وسمعة بيتها هذا من جهة البعد النفسي.

أمَا من جهة البعد الاجتماعي الذي ركز عليه الشاعر في رسم صورة جارته فقد اشتمل على قيمتي الوفاء والكرم، فالوفاء قيمة ذات أهمية بالغة بالنسبة الى الصعلوك، إنه يبحث عنه دائما لتحقيق الراحة النفسية والطمأنينة والاستقرار، فهو شديد الثقة والاعتزاز بها، وهي تراعي عهد زوجها وتصون كرامته وعرضه ولأنها هي كذلك كريمة مع جارتها حسنة المعشر والمعاملة وفي أوقات الجدب والقنط تقدم لهن ما احتفظت به من زاد.

وبهذا يركَز الشاعر على الكرم الحقيقي والتكافل الاجتماعي الذي ينبغي أن يهيمن على مجتمع الصعاليك الذي يعاني من الفقر وهنا تكمن قيمة الكرم الحقيقية باعتباره وسيلة لاستمرار الحياة وليس معنا اجتماعيا فحسب.

وإكمالا لأبعاد الصورة المثالية التي رسمها الشَنفرى لأميمة نراه يتحدث عن البعد الجسمي مضيفا عناصر جمالية حسية فيذكر مجالسة امرأته، حيث انتشى وثمل من مجالستها حتى وكأن بيته شملته ريحانه منظرا وحديثا ولفظا وإحسانا، وذهب لوصفها وذكر موضوعها وهيئتها.

إن المتمعن في قراءة هذا النص يتضح له من الوهلة الأولى أنَ الشاعر يقدم صورتين مختلفتين لهذه المرأة الظاعنة حيث يطالعنا في أبياته الثلاثة الأولى بصورة المرأة المستبدَة، ويبدو استبدادها من خلال تفردها برأيها، وترتبها لأمور رحلتها أمام مرأى الصعلوك، دون أن تترك له حق التعبير عن رأيه، وكأنها هنا تقمع رغبته في عدم رحيلها ، بل ولم تبال أصلا بموقعه إزاء ذلك، وقمعته بأن جعلته خارج اهتماماتها ولم تتجشم وتعي عناء توديعه:

ألا أمَ عمرو أجمعت فاستقلـــــَت وما ودعت جيرانها إذ تولَــت

وفي هذا يريد الصعلوك القول: أنه لم يتوقع هذا الموقف السلبي من" أم عمرو" التي كان يكن لها كل الاحترام والتقدير. وهذا يبدوا واضحا من خلال تكراره لاسمها في بيتين متواليين.

" وقد سبقتنا أم عمرو... " ، " فحسبنا أن نعرف إن من وضائف التكرار اللغوي ولا سيما تكرار اسم العلم، بيان الأهمية وتوكيد المعنى وتقوية الاحساس به. "[1]

الى جانب ذلك نجذ قوة شخصية هذه المرأة في اتخاذ قراراتها ولا تثنيها لومة لائم.

فالشنفرى إنَما يصوَر هذه المرأة بطريقة تدينها وتلقي عليها اللوم لاستبدادها برأيها:

بعيني ما أمست فباتت فأصبحت فقضت أمورا فاستقلت فولـــــت

من خلال هذا البيت تظهر سرعة مشهد الرحيل الذي مر سريعا على ناظري الشاعر" قضت، استقلت، ولت... " دون أن يمنعه ذلك إثبات ذاته أو محاولة ردها عن قرارها، كما يشير الى ألمه من هذا المشهد المصور أمام عينيه.

ويبدو تأثر الشنفرى واضحا بقرار جارته والرحيل، ويعود في البيت الرابع ليصرح بأنفاسه الحرى لفقدانها:

[1] تجور فاطمة : المرأة في الشعر الاموي، مطبعة اتحاد الكتاب العربي، دمشق–سوريا، سنة 2000، ص102.

فواكبدا على أميمة بعدمـــــا طمعت فهبها نعمة العيش زلت

" فما نال منها في سالف الأيام أخلد أثرا، الى أن يتذكره، ويتعظ به ويتلذذ بذكره، ويتحسر كيف فات ، وحسبه من ذلك أن يجعل أم عمرو وهي كنية التجلة وتفخيم أميمة وهي تصغير التلميح والحنين والترفيه ، ثم ينعتها بأنها نعمة العيش وأنها قد ولت وليس بعد النعمة إلا الشقاء."[1]

ويظهر ألمه عميقا من خلال استعماله عبارة " واكبدا " التي ضمنها حرف الندبة " وا " والتي دلت على فرط ألمه وحزنه." لكن الصعلوك قد حرمه القدر من نعم كثيرة فلا ضير إن ذهبت أخرى:

" **أنا الغريق فما خوفي من البلل** "

ولكن هل يستطيع الصعلوك الثبات على موقفه هذا والاستمرار بمظهر القوة ؟ طبعا لا، فالواقع يفرض نفسه، والمصاب أكبر من أن يدارى، ويجرفه تيار الحديث عن صفاتها وأخلاقها، وهنا يظهر بلل مصابه لأنه فقد امرأة غير عادية، فهي عكس المجتمع اللائم لا تبدي اللوم اتجاهه ولا من اللواتي يحملن البغض في قلوبهن فهي لا تتصف بهذه الصفة "تقلت".

فيا جارتي و أنت غير مليمة إذا ذكرت و لا بذات تقـــــــلت

وبطريقة أخرى أراد الشاعر الصعلوك أن يعبر عن ضيقه ومقته من الذين يلومونه، حتى إنه يحس نفسه وحيدا في عالمه.

[1] المجذوب عبد الله الطيب : ألم شد الى فهم أشعار العرب و صناعتها : الكويت ، ط 3 ، سنة 1989 ، ص 1117.

" وإذا ما التفتنا الى دلالات اسم " أميمة " الغريب من لفظة " الام " ندرك إرادة الشاعر في جعل جارته مثل الأم التي تقف مع وليدها في كل الظروف ... "[1]

وهنا يجسد الشاعر رغبة مفقودة، والمرأة المثال التي يصبو إليها.

" ودلالة هذا الاسم هي نفسها التي نجدها بقية شعراء هذا العصر حيث تظهر (أميمة) و(أمامة) رمزا للأم العافية العطوف يريح الشعراء رؤوسهم المجهدة على صدرها، ويشكون إليها بثهم وحزنهم."[2]

ويواصل شاعرنا الصعلوك رسم آخر مشهد من مشاهد هذه المرأة الظاعنة فبعد تصويره لمشهد رحيلها، ها هو الآن يمضي في رسم الصورة النفسية والأخلاقية لهذه المرأة:

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها إذا مشت و لا بذات تلفـــــت

فقد أعجبته أميمة لتحشمها وعدم تساقط قناعها كما تفعل بعضهن حين تمشين ، فهي تمشي في استقامة واعتدال لا تجلب الشك والريبة ثم يمضي مصورا كرمها على جاراتها بأن تهديما غبوق اللبن في زمن تقل فيه الهدايا لفرط الحاجة وجذب الارض:

تبيت بعيد النوم تهدي غبوقهـا لجارتها إذا الهدية قلـــــــت

كما يصور الشنفرى وقت كرمها هذا ليك " تبيت " فهي لا تريد وراء ذلك رياء ولا منة، ولو كانت تقصد غير ذلك لفعلته بالنهار أمام مرأى من الناس.

وهذا ما يكرسه في البيت الموالي:

تحل بمنجاة من اللَوم بيتها إذا ما بيوت بالمذمُة حلَـــــت

---

[1] عماد علي خطيب : الصورة الفنية أسطوريا ،دار جهينة للنشر و التوزيع ،عمان – الأردن– سنة2006 ، ص77.

[2] المرجع نفسه.

فهي تقبع في بيتها بمنأى عن المذمة واللوم ، ولا يكتمل المشهد إلاَ بعلاقة" أميمة " بزوجها ، فتظهر في أرقى صورها عفيفة :

أميمة لا يخزى نثاها حليلها إذا ذكَر النَسوان عفَت و جلَـت

إذا هو أمسى آب قرَة عينــه مآب السعيد لم يسل أين ظلَت

فإذا ما تذاكر الرجال النساء بينهم، كان زوج هذه المرأة أسعدهم وأكثرهم فخرا لعفة زوجته دون أن يتبادر الى ذهنه الشك أو يخالجه شعور سيئ إزاءها، إن الشاعر" يرسم لها في هذه المقدمة صورة مثالية، يركز فيها الأضواء على ثلاثة جوانب تبرزها في أجمل أوضاعها: فهي مثالية مع نفسها، مثالية مع زوجها، مثالية مع صاحباتها."[1]

ومقارنة بين الابيات الثلاثة الاولى وبين الأبيات التي تليها، نلمس ونلاحظ تعارضا بين صورتين لهذه المرأة في كلى الطرفين.

فإذا بدت في الأولى مستبدة وقاسية، فهي في الثانية عكس ذلك، حيث أنها تبدو مثالية مترفعة عن كل ما يمكن أن يشينها " ولا جدل في أن الشاعر كان موفقا كل التوفيق في حديثه عن صاحبته، ونعته لها بهذه النعوت اللاحقة كما جاءت في هذه المقدمة الطويلة، فقد كشف عن كرمها وأريحتها على جارتها في وقت الشدة، ثم عن فقرها وحياتها بهذا التعبير الجميل (كأن لها في الأرض نسبا تقصَه)، ثم عن حفاظها على زوجها في غياب وفائها لعهده."[2]

ولكن السؤال الذي علينا بعد هذا، هو لماذا جاءت صورة المرأة الظاعنة على هذه الشاكلة عند الشنفرى ؟

---

[1] يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي ، ص 152 .

[2] زيدان عبد القادر عبد الحميد : التمرد و النوبة في الشعر الجاهلي ، دار الوفاء للطباعة و النشر ، 2002 م ، ص 140 .

وسنفهم ذلك أكثر وتتضح لنا الصورة إذا حاولنا ربطها بواقع الصعلوك أو جبارة أخرى بإسقاطها على ظروف حياة الصعلوك، فصورة المرأة المستبدة إنما تعكس واقعة الحالي الذي يعاني فيه من التهميش والازدراء، فهو يتبع هامش المجتمع ورأيه غير ذا أهمية رغم أنه يحاول الظهور بمظهر اللامبالاة والاعتداء بالنفس بانكفائه على ذاته . "

فالذي لا شك فيه أن صورة المرأة أكثر استقطابا لحركة الواقع وأغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه، فالعلاقة التي تربط الفن بالواقع، تجعل هذا الفن مكثفا النشاط البشري القائم في المجتمع."[1]

أمَا الصورة المثالية فهي تعكس رغبة وطموح الشاعر الى نمط آخر من الحياة، يسوده السلام والعدل يحظى فيه الصعلوك بواقع أفضل لا يحتل فيه المكانة الأخيرة من المجتمع، حيث " يجسد العمل الغني – الى حد كبير – حلم الكاتب بدلا من حياته الواقعية، أو قد يكون القناع الذي يختفي وراءه الشخص الحقيقي، أو قد يكون صورة الحياة التي يريد الشاعر أن يفر منها."[2]

من خلال هذا نصل الى أن مثالية المرأة الظاعنة عنده إنما تعكس مثالية المجتمع الذي يتوق إليه شاعرنا الصعلوك، وبرغم أن هذه هي الصورة التي يرغب فيها الصعلوك إلا أنه يقر باستحالة تجسيدها واقعيا، فرحيل " أم عمرو" حدَ وقطع أوامر هذه الامكانية حيث لا يمكن أن تكون واقعا بعد الآن، بل الواقع هو العكس، الواقع هو الزمن الذي يسير ضد الصعلوك وضد رغبته وموته، إنه واقع الرحيل

[1] طه وادي : صورة المرأة في الرواية المعاصرة ، دار المعارف ، القاهرة – مصر – ط2 ، سنة 1980 م ، ص 54 – 55 .

[2] أبو زيد علي ابراهيم : الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، دار المعارف ، القاهرة – مصر – ط 2 ، سنة1983 م، ص 23 .

والاستبداد، الغربة والهامشية، فمثالية أميمة منقطعة في الماضي، وربما رافقت أحلام الصبي، والحاضر شيء آخر والمستقبل لا يبنى بال.

ثالثا: صورة المرأة الأم :

شاء الصعلوك وشاء له واقعه أن ينفرد بموقعه اتجاه عالم المرأة، فاتسمت علاقته بها بمنطق المغايرة وخصوصيات الرؤى، وإن كان هذا المنطق وهذه الخصوصيات جاءت لتواصل خط التفرد الذي دأب عليه الصعلوك في حياته، فإنها في كثير من الأحيان كانت تفرض نفسها عليه دون أن يكون له دخل اختيارها، ويتضح هذا الامر جليا من خلال علاقة الصعاليك بأمهاتهم.

وعند التمعن المادة الشعرية القليلة التي قدم من خلالها الصعاليك صورة الأم، نجد أن مكانتها اختلفت عندهم فمنهم مفتخر بها، محب لها، مشفق عليها، لا يجد حرجا في الانتساب إليها، وجل هؤلاء الصعاليك من أبناء الإماء، والذين يسمون بأغربة العرب، كالشَنفرى والَسليك، وتأبط شرا، وعمرو بن براقة وغيرهم.

وآخر نقم عليها، وعلى أهلها، وعلى أبيه الذي تزوجها، لأنه يرى أنها حطت من قدره، وشأنه في قومه، مما جعله عرضة لسخرية قومه، الذين عيروه بها، ومثال هؤلاء الشعراء عروة بن الورد.

وآخر جاهر بفخره بها، معتزا بأنها ليست من الإماء، وليست وضعية النسب، وإنما هي سليلة حسب ونسب، وشريفة عفيفة ومثال ذلك من الشعراء القتال الكلابي.

أما القسم الأول من هؤلاء الصعاليك الذين أحبوا أمهاتهم، وافتخروا بهن، فإنهم لم يجدوا حرجا في الانتساب لهن كقيس بن الحدادية وعمرو ابن براقة، والسليك بن السلكة، وغيرهم وهذا الامر كان شائعا عند العرب عامته، ولكن الذي

تميز به هؤلاء الصعاليك هو أن أمهاتهم من الإماء، وليس من بنات العرب الحرائر، إلا أنهم انتسبوا لهن، و اشتهروا بهذا النسب.

ويذهب الشنفرى الى أبعد من ذلك حين ينادي إخوته بأبناء أمه وليس أبيه حيث يقول في مطلع لاميته الشهيرة:[1]

أقيموا بني أمي صدور مطيكـــم فإني الى قوم سواكم لأميـــــل

فقد حمَت الحاجات و الليل مقمر و شدت لطيات مطايا و أرحل

يستوقف ذلك النداء الذي تخيره الشنفرى لمخاطبة قومه – بني أمي – وما يثيره في النفس من معاني الود والشفقة والتراحم، إنه يؤذنهم بالرحيل وأن غفلتهم عنه توجب مفارقتهم، وأنه مائل الى قوم غيرهم، ويدعوهم الى التنبه من رقادهم فهذا وقت الحاجة ولا عذر لأحد، فإن الليل مقمر مضيء، وإن المطايا حاضرة معدة للتحول والرحيل.

ويبدو تعمد الشنفرى إضافة قومه واخوته الى أمه دون أبيه إدراكا لخصوصية صلة الأم لأنها أقرب الصلات الى العاطفة والمودة ، فالأم شأنها الحنو والأولاد من شأنهم المودة والترحم ، وهو مالم يكن بينه وبين قومه، فرغم أنهم أبناء أم واحدة إلا أنهم خرجوا معه من حيز التصافي الى حيز التنافي ولا يخفي ما في هذين البيتين من كثافة المعنى واختلاط المشاعر والأحاسيس واللغة الرامزة كما يليق بمطلع جليل."[2]

[1] الشنفرى : الديوان، ص 58 .

[2] وهب أحمد رومية: شعرنا القديم و النقد الجديد، ص 249.

وفي موضع آخر نجد الشنفرى يسارع الى الاعتزاز بأمه، والفخر بها حين عيرته الفتاة السلامانية بأصله، ولطمته على وجهه متعالية عليه، رافضة أن يكون أخا لها ولو حتى بالتسمية، يقول:[1]

ألا ليت شعري و التلهف ضلـــــــة بما ضربت كفَ الفتاة هجينـــــا

ولو عملت قعسوس أنساب والدي ووالدها ظلَت تقاصر دونـــــــها

أنا ابن خيار بيتا و منصبـــــــــــا وأمي ابنة الخرين لو تعلمينهـا

والملاحظ أن هذه الحادثة لم تجعله ينقم على أمه أو أبيه، كون الأم أمة حبشية أورثته اللون الأسود والمكانة الوضيعة، بل نجده يفتخر بأصله ويعتز بأمه، متهما الفتاة بجهلها بنسبه وأصله.

إن هذا القسم من الشعراء الذين ولدوا لأمهات من الاماء وجدوا واقعا قد فرض عليهم وكان قاسيا، هو واقع الأم الأمة التي لم يجدوا بدا من الانتساب لها والاعتزاز بها، وهو واقع آلمهم كثيرا أن يرو أرحامهم يعانين من الرق ومعاناة العيش.

وواقع المجتمع الذي ينظر الى أبناء الاماء نظرة احتقار وازدراء وأنهم في مكانة دون أبناء الحرائر من العرب الامر الذي جعل الكثير من هؤلاء الشعراء يفتخر بفعاله وبطولاته، وهذا الواقع هو الذي دفع كثيرا من هؤلاء الشعراء الى التصعلك فعاشوا ناقمين على مجتمعاتهم، غير راضين على أنظمتها وقوانينها الجائرة.

[1] القصة و الأبيات موجودة في كتاب الأغاني، ج 21، ص 101 – 102.

ومن الشَعراء الذين نقموا على أمهاتهم، وعانوا في قومهم أشد معاناة، فخير مثال عليهم عروة بن الورد، ذلك السيد الذي عرف بكرمه ونبله وزعامته في قومه، إلا أن هذا كله لم يشفع له عند قومه، حيث ظل يعير بأمه النهدية التي كانت من الحرائر من النساء، إلا أنها لم تكن من ذوات الأنساب الرفيعة، لذلك نجد أن هذا الموضوع أثر في حياته تأثيرا عظيما مما جعله ينشأ ناقما على أبيه أولا، لأنه اختار أمه من قوم ليسوا من أشراف العرب، وناقما على أمه وعلى أخواله وعلى المجتمع الظالم الذي لا ينظر الى شخص الانسان وفعاله، وإقدامه وفروسيته وبطولاته.

إنَ عروة بن الورد تمرّد على مجتمعه وقبيلته التي كانت تنظر إليه نظرة تشاؤمية، لأن والده كان سببا في رهان عبس وفزازة، ولأن أمه تنتمي لقبيلة أقل شرفا من عبس، فأمه امرأة نهديه ليست من ذوي الأنساب، حيث أنها عدت بمثابة الأمة، لذلك عيره قومه وهو يذكر ذلك بقوله:[1]

أعيرتموني أن أمي تريعـــــــة وهل ينجبن في القوم إلا الترائـــع؟

وما طالب الاوتار غير ابن حرّه طويل نجاد السيف عاري الأشاجع

إن قسوة المجتمع الذي عاش فيه عروة، جعلته ينقم على أمه وأهلها، لذلك نجده يدفع دفعا إلى هجاء أخواله النهديين، الذين ينتمون إلى قبيلة يمنية أقل شأنا وشرفا من عبس ،يقول:[2]

لا تلم شيخي ،فما أدري بـــــــه غير أن شارك نهدا في النَســـب

كان في قيس حسيبا ماجـــــــد فأتت نهد على ذلك الحســـــب

[1] ديوان عروة بن الورد،ص62.

[2] المصدر نفسه،ص50.

لعلَ موقف عروة من أمه وأخواله، كونه من سادات عبس، وعبس قبيلة عرف عنها أنها جمرة العرب التي لم تنطفئ، وكون أمه من قبيلة أقل شرفا ومكانة بين القبائل، لذلك رأى أن النقص إنما أتاه من أخواله، فنقم على هؤلاء الأخوال، أما باقي الصعاليك من أغربة العرب فلم يكونوا من الأشراف ،أوالسَادات ،بل من عامة الناس أو دون ذلك مما جعلهم لا يجدون في أمهاتهم وأخوالهم ما يدعو إلى التقليل من المكانة الاجتماعية ،المكانة التي لم تكن موجودة أصلا في المجتمع حيث أنهم كانوا منبوذين في مجتمعهم للونهم أو لنسبهم ،وحيث ظل المجتمع ينظر إليهم على أنهم دون أبناء الحرائر من العرب ،وهذا الأمر هو الذي يفسر رضى هؤلاء بأمهاتهم وفخرهم بهن ،وتبرّم عروة، وعدم رضاه بأمه وأهلها ،الأمر الذي أوصله إلى هجائهم.

أمَا القسم الثالث من الشعراء الصعاليك الذين رأوا أن النقص من جانب الأم ،لايقعد عن همة،ولا يفت من عزيمة ،فإذا كانت الهمَة عالية ،والنفوس كبارا ،وصلت بالإنسان إلى مالم يصل إليه أبناء الحرائر ،يقول عبيد الله بن الحرّ الجعفي[1]:

فإن تك أمي من نساء أفاءها حياد القنا والرهفات الصفائح

فتبا لفضل الحرّ إن لم أنل به كرائم أولاد النّساء الصّرائح

وإذا كان هذا حال أبناء الإماء من الصعاليك ،فإن بعض الصعاليك من الحرائر من النساء ،كانوا يفتخرون بأمهاتهم ،كونهن لسن من الإماء ،حيث يجد ذلك أن نقيصة قد تحط من قدره، وتجعله عرضة للنيل منه عند أعدائه ،ومن الشعراء الذين افتخروا بذلك القتال الكلابي الذي يفتخر أنه ليس من الإماء .حيث يقول[2] :

أما الإماء فلا يدعونني ولـــدا إذا تنادى بنو الإموان بالعــار

[1] المبرد ،الكامل ،تحقيق أحمد الدالي ،مؤسسة الرسالة،بيروت–لبنان،ط2،سنة1993،ص646.

[2] البطليوسي ،كتاب الحلل في إصلاح الجمل ،تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي،بغداد،سنة1980،ص464.

فالشاعر لا يخشى أن يعيره أحد بأن أمه أمة وذلك إذا سب الناس بعضهم بعضا ،وفي بيت آخر يفتخر بأمه عمرة بنت حرقة من ربيعة ،وأنّها جرة لم تكلّف جمع الحطب كلإماء ،فيقول[1]:

لقد ولدتني حرّة ربيعيـــــة من اللاء لم يحضرن في القيظ دندنا

إنَ القتال الكلابي يمزج في فخره بأمه بين كونها حرّة شريفة ،وليست من الإماء وبين كونها ذات نسب ،وبهذا فإن القتال الكلابي يعتبر مثالا واضحا للصعلوك الذي يعتز بأمه ،ويفخر بحسبها ونسبها ،ولا يجد حرجا في الانتساب لها صراحة ،معتدا بها ،يرى أنها أحلته بمنأى عن العار أو النقص الذي لحق بكثير من الصعاليك ،ويبدو في حتام مبحثنا حول المرأة الأم في شعر الصعاليك ذلك الاقتصاد الشديد في انتقاء عناصرها اللغوية ومادتها البصرية فجاءت مركزة قليلة ،فقد قصد الصعلوك من خلالها إلى التعبير عن قضاياه وأحاسيسه ومواقفه من الحياة والناس من حوله.

وكما أقررنا تلك العلاقة المميزة بين الصعلوك وأمه كونه لم يعرف عطف الأب منذ صغره ،فكانت أمه أقرب مخلوق إليه ،ورأينا أن أم الصعلوك تختلف عن أم أي شخص آخر في المجتمع الجاهلي لأنها كانت في الأغلب الأعم إمَا سبية أو أمة وإما وضيعة النسب،وكان هذا هما آخر في مجموع هموم الصعلوك،وسببا آخر يدعوه للثورة والتمرد،لأن المجتمع الجاهلي لن يكف عن النظر إليه بعين التحقير والإزدراء من واقع الصفة الصَفة التي كانت أو لازالت عليها أمه.

[1] د.أحمد الحوفي ،المرأة في الشعر الجاهلي.

رابعا: صورة طيف المرأة:

"يشغل طيف المرأة وجدان الشاعر الجاهلي ليمتد على مساحة واسعة من الشعر ونجرؤ على القول:إن بإمكان الدارس اكتشاف مقدمات حلمية لا تقل أهمية عن المقدمات الطللية أو الخمرية"[1]

فهذه الصورة _صورة الطيف_من حيث كونها ضربا من الأوهام ونسجا من الأحلام فهي ملاذ ظليل يلجأ إليه الصعلوك فيجد فيه راحته ،وفضاء حر يتخطى فيه الواقع ويعيد تشكيل حيثياته كيفما يشاء ،والمرأة بالنسبة للصعلوك صعبة المنال قليلة الوصال ولنا أن نتصور كيف لجأ الشعراء الجاهليون القبليون إلى خطاب الطيف بعد أن تعذر عليهم تحقيق أمانيهم وتطلعاتهم واقعا فعليا،وهم الذين يعيشون في كنف القبيلة ويلتفون يوميا بعشرات النسوة فيها،فما بالك بهذا الصعلوك الذي يعيش في الجبال والبراري والمفازات البعيدة ويعاشر الوحوش والضواري بعيد عن مجتمعه الذي نبذه وعدّه من ألد أعدائه.

والطَيف هو"زور الحبيبة من غير وعد يخشى مطله ويخاف ليّه وفوته ،واللذة فيه لم تحتسب ولم ترتقب ،يتضاعف بها الالتذاذ والاستمتاع ،وإنه وصل من قاطع وزيارة،من هاجر وعطاء من مانع وبذل من ضنين...وهو لقاء واجتماع بين عاشقين لا يشعر الرقباء بهما ولايخشى منع منهما ولا اطلاع عليهما...وإنه تمتع وتلذذ لايتعلق بها تخريم وانتفاع بما لاأصل له وإنما هو كالراب اللامع وكل تخيل فاسد لأنَه سريع الزوال وشيك الإنتقال،يهيج الشوق الساكن ويضرم الوجد الخامد ويذكر بغرام كان صاحبه عنه لاهيا أو ساهيا"[2]

وكان الطيف غالبا مايربط الشاعر بماضيه ويحيله إلى أيامه الخوالي،ويجعله يعيش تلك اللحظات من جديد بمختلف تفاصيلها،محاكيا الحقيقة تارة،ومحرفا متصرفا فيها تارة أخرى حيث"لم يكن الشاعر يجد فكاكا من الحنين إلى الماضي في مقدمات

[1] عبد الإله الصائغ،الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية،ص34.

[2] المرجع نفسه،ص31.

الطَيف،في الليل والنهار،وفي اليقظة والنوم،حتى إن طيف صاحبته كان يسري إليه على بعد الدار وشحط المزار،يذكره بالماضي ويشدّه إليه"[1]

لقد أعطى الصعاليك غاياتهم وأهدافهم اهتمامهم الأول ورعايتهم التامة،فظلوا يكتمون مشاعرهم وأحاسيسهم فيعانون ما يعانون ،ويأرقون ويتألمون ،إلى أن تضيق بهم الأرض بما رحبت ويملون البعد والإغتراب ويضجرون من معاشرة الوحوش والغيلان،فينفجر ذلك كله أهات حرّى وزفرات مرّة،يومضها البرق وتؤججها نسائم الرياح الآتية من جهة الأهل والمحبوبة.

ونصل من هذا كلَه إلى صورة تشرح حزنا وهي لتأبط شرا يعلن فيها استعداده لتقديم روحه ثمنا مقابلا لزيارة طيف الحبيبة حيث يقول[2]:

ياعيد مالك من شوق وإيراق ومر طيف على الأهوال طراق
يسري على الأين والحيات محتفـاً نفسي فداؤك من سار على ساق
إني إذا خلة ضنت بنـــــا وأمسكت بضعيف الوصل أحذاق
نجوت منها نجائي من بجيـــــلة إذ ألقيت ليلة خبت الرهـــــط أرواق

ففي هذه الأبيات يحاطب الشاعر مايعتاه من حزن وشوق،لينفذ منه إلى الحديث عن الطيف وخصائصه،هذا الطيف الذي أحاله إلى طيف متصعلك ليجد فيه معادلا أمينا لواقعه وصورة حية من صور عالمه.

وهو يرسم لنا صورة لطيف حبيبته يسير بالليل حافي القدمين،غير عابئ بالكد والعناء،ولا مباليا بمخاطر الطريق المحفوفة بالأفاعي المميتة،ليستر أخيرا إلى جوار الشاعر الذي يبدي استعداده لتقديم حياته فداء لزيارة هذا الطارق.وإنما تعجب الشاعر على مرّ الزمان من اهتداء الطيف بلا هاد،وتخلصه على المضايق وتخطيه صعب المسالك،لأنهم فرضوا زيارته زيارة حقيقية وطروقا صحيحا فتعجبوا من مثله في الواقع.

[1] حسين عطوان:مقدمة القصيدة العربية،ص229.

[2] ديوان تأبط شرا،ص40-41.

ولكن الشاعر الصعلوك لم يشأ أن يهزم أمام عالم المرأة بقدر ما آثر الفرار منها،لأنه بكل بساطة رأى في المرأة–وفي طيفها–وجها آخر لصراعه ضد التقاليد الاجتماعية الجائرة، فربما جعل من هذه المرأة رمزا للقبيله التي تمرد عليها،وعلى هذا الأساس حاول الشاعر عدم الإنصياع لرغباتها وإغراءاتها وقد زاد استخدامه للطيف من ترسيخ هذا المعنى،فكأنما أراد أن يوحي إلينا بأن هذه المرأة وكل ماتقدمه من تنازلات بقدومها إليه بنفسها طالبة الوصل،فإنما أخفت وجهها الحقيقي خلف هذا الوجه الأنثوي البرئ،وسرت إلى الصعلوك ليلا في لحظة خلوته تبغي إغواءه ،وقد تخيَر موعد الليل بالذات دلالة على معنى الإغراء والإغواء ،ولكنه ما يلبث أن ينتبه لحيلتها هذه،فيعتبر تنازلها ذلك من قبيل الوهم والخداع الذي مايلبث أن يزول ويندثر،ومن ثم يقرر الفرار الفرار منها كما كان فراره من"بجيلة"من قبل.

ورغم أنَه يصرح في البداية بوجده وشوقه وأرقه لطول التغرب والبين،فإنه مع مستمر في تحقيق أهدافه ثابت على مواقفه، ولو بقليل من حقوقه، بل هو مصمم على أخذها كلها، وإلاَ فالتصعلك خياره الأول والأخير والشاعر يقيم علاقة عجيبة بين طيف المحبوبة وحياته المتصعلكة، فيجعل فراره من طيفها شبيها بفراره من أعدائه.

وهو اقتران سببه الهجر الناجم عن التصعلك–يستدعي بالضرورة–الإنتقال من هذه الصورة المؤلمة التي راكمت الحزن والأسى في نفس الشاعر الصعلوك إلى صورة أكثر إشراقا وبعثا والتبجح من ركام رماده،وهو مايفعله الشاعر عندما يعود بذاكرته إلى ماضي أيامه وهو يسسر في القفار بصحبة سيفه ،فيروي أمجاده الشخصية وبطولاته كفارس لا يقهر،على الرغم من آثار القهر ماثلة في جانب آخر،وقابعة في زاوية مظلمة من نفسيته الوجوعة.

هكذا جعل تأبط شرا من طيف صاحبته طيفا متصعلكا يتسق مع عالمه ويواكب جوّه النفسي ،الذي يغلب عليه صراع داخلي حاد من أجل تبرير مواقفه

وخياراته بضرورة الخروج ومن ثم فقد كان الوضع النفسي الذي يعيشه الشاعر دخل في صياغة مشاعره على هذه الشاكلة من الرمزية والتداخل بين الواقعي والخيالي.

والشاعر يلوذ"بالحلم ليفكك صورة الحاضر إلى أجزائها الصغرى ليعيد تشكيلها وفق هواه،فينشر عليها ألوان الماضي وعبقه،ويعادل بالحلم طيف الحبيبة أو خيالها الزائر،بطش الهجر بلطف الوصل،وخشونة الحاضر برفق الماضي."[1]

إنَ الصعاليك على الرغم من لجوئهم إلى خيال المرأة إلا أنهم لم يسترسلوا في الحديث إليه أو المقام معه،كأن الطيف الذي يزور الصعاليك يختلف عن ذاك الذي يزور غيرهم ،فهو يتميز بسرعة رحيله وعودته من حيث أتى، فالشاعر الصعلوك لايسعفه الحظ ليستمتع بطيف محبوبته كما هو الشأن عند غيره من الشعراء. وهذا الأمر يدفعنا إلى التساؤل عن السر وراء ذلك التعامل المخصوص للصعلوك مع طيف المرأة،أو السبب الذي جعل صورة الطيف عنده تأتي على هذه الشاكلة،في حين كان بإمكانه أن لا يترك ذلك الطيف يمر دون أن يمارس معه طقوس الحب التي حرم منها في الواقع بسبب ظروفه الخاصة،وأن يرتو في حلمه بطيف أنثاه على الرغم أنه في صحوه مكتو بنار هجرها؟وهذا بالفعل مافعله شعراء آخرون كانت ظروفهم كذلك صعبة وقاسية.

والجواب يحيلنا مجددا إلى خصوصية صعلوكية تنبع من فرادة الحياة التي يعيشها الصعلوك،فظروف هذا الأخير لهي أصعب وأقسى من تلك التي عانى منها أي شاعر آخر وهذه الظروف التي نتكلم عنها أثرت في طباع الصعلوك لتجعل منه أكثر واقعية،وأبعد عن الخيال إلابمقدارمايسمح له بتفريغ بعض مكبوتاته والتنفيس عن مكنونات نفسه الخارقة فاللغة وإن كانت أداة تواصلية وتفاعلية بامتياز فهي "تستعمل أيضا للتعبير عن المشاعر المختلفة من سعادة وفرح وحزن وغضب

[1] عبد الإله الصائغ :الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية،ص33.

واستياء...وفي معظم هذه الحالات يكون استعمال اللغة نوعا من التنفيس عما في داخل الإنسان بغض النظر عما إذا كان هناك من يسمع ذلك الكلام أم لا."[1]

وبالإضافة إلى واقعية الشاعر الصعلوك فإنه يبدو كذلك غير مستعد للتخلَي عن عزة نفسه وكبريائه حتى لو تعلق الأمر بمجرد حلم.

وهذه بصفة عامة الخصائص العلاقة بين الشاعر الصعلوك وطيف محبوبته وكان قد أشرنا إلى مميزات ذلك الطيف ،الذي يبدو متلائما ومتناسقا معه ،فهو كما الصعلوك جريء وشجاع ومجازف فهو طيف متصعلك لا يمكنه أن يكون غير ذلك عندما يتعلق الأمر بشاعر صعلوك.

[1] نايف خرما :أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ،عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،سنة1978م،ص175.

خامسا: صورة المرأة السبية:

لم يكن شعر الصعاليك شاذا عن شعر غيرهم من شعراء القبائل الذين عاصروهم، لذلك يجد القارئ في هذا الشعر بعض الإشارات إلى السبي، حيث أن الصعاليك اعتزوا بحماية نسائهم والذود عنهن ،كما افتخروا بمقدرتهم على سبي نساء غيرهم، وعيروا أعداءهم بذلك ووصفوا السبايا بأوصاف متعددة مشابهة لأوصاف غيرهم من الشعراء، ونجد في شعر بعضهم شيئا من التشفي أحيانا.

لقد كان الفخر بالسبي واضح جلي في شعر كثير من شعراء العصر الجاهلي، والصعاليك جزء من هؤلاء الشعراء، حيث أن سبي نسء العدو دليل واضح على قوة السابي، وسطوته وظهوره على العدّو وقهره له، لذلك نجد بعض الصعاليك يفخر بقدرته على سبي نساء عدّوه، يروى أن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس، ثم من بني سكين، يقال لها أسماء فما لبثت عندهم إلاَ يوما حتى استنفذها قومها، فبلغ عروة بن الورد أن عامر بن الطفيل قد افتحر بذلك الأمر، وذكر أحذه اياها، فردّ عروة عليهم يعيرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية، يقول[1]:

إن تأخذوا أسماء مقف ساعة فمأخذ ليلى وهي عذراء أعجـــب

لبسنا زمانا حسنها وشبابـــها وردّت إلى شعواء والرأس أشيـب

كمأخذنا حسناء كرها ودمعـها غداة اللّوى مغصوبة يتصبـــــب

إنَ هذه الأبيات تظهر المرأة ضحية لذلك الصراع القائم بين القبائل والرجال، إنَها تدفع أثمانا باهضة من شبابها وكرامتها وحياتها من أجل مجد الآخرين وسؤددهم، وهي تدخل مرغمة في صراع لا ناقة لها ولا جمل.

وتبدو سبية عروة هذه المرة فتاة عضة بضة في مقتبل العمر، فهي شابة عذراء تبدو عليها ملامح الحسن والجمال والدلال لصغر سنها، والشاعر يرسم صورة

[1] ديوان عروة بن الورد : ص 28.

هذه الفتاة لحظة اقتيادها إلى مصيرها الجديد مرغمة مكرهة، فهي معصوبة الرأس تتصبب دموعها خوفا وجزعا، وربما حزنا وحسرة على ما ستؤول إليه حالتها، فهو يخبرنا أن سبيته "ليلى" عادت إلى أمها المسنة من جديد ولكن بعد أن قضت زهرة شبابها سبية يستمتع بها القوم ويبتذلون جسدها الجميل.

والشاعر في معرض مقارنة بين سبة قومه وسبية أعدائهم، وفي كلتا الحالتين تبدو هذه المرأة مسلوبة الإرادة لانسمع لها صوتا ولا رفضا، فقط هي اشارات جسدية مثلتها العبرات الحرى والزفرات المرّة تعبيرا عن موقفها، والذي لن يكون سوى الرفض والحزن والتفكير في الخلاص، وهذا كله يدل على منعة الشاعروقوته، وفيه تعبير بضعف أعدائه وعجزهم عن استنقاذ سبياهم.

سادسا: الصورة المبتذلة للمرأة :

لطالما تغنَى الشعراء الصَعاليك في اشعارهم بعفة المراتو سمو اخلاقها وابتعدوا ما امكنهم عن الخوض في كلام الجسد و تفاصيله ، حيث لم نلمس عندهم تلك الغية بتقديم الصورة التي شكلت استثناء وعلى قلتها فقد مكنت من ابراز الصورة الفحشة الساقطة للمرأة أو الجانب اليلبي منها ، وهي تلك الصورة التي تبدو فيها متجردة من حيائها متجاوزة كل الأعراف و المبادئ منجرفة وراء شهواتها و ميولها الغريزي .

و كان الوصف الحسَي لجسد المرأة و طريقة حركة اجزائه وصولا الى عنصر الاغراء و التمثيل المادي للشبق و الشهوة هو عون الشاعر الصعلوك في تقديم هذه الصورة.

ومن خلال استقرائنا للشعر الصَعلوكي وجدنا هذه الصورة مركزة عند تأبط شرا بالدرجة الأولى حيث نجد في ديوانه ثلاث مقطوعات في هذا الغرض . بالإضافة الى ابيان مفردة لدى كل من السَليك بن سلكة وابى الطمحان القيني ، اما بقية الشعراء الصعاليك فلا نعثر في اشعارهم على عذا النمط من التصوير .

وعندما نحاول البحث عن تفسيرات منطقية لتمثيل هذه الصورة عند هؤلاء الشعراء دون غيرهم ، نجد ان كل من تأبط شرا والسليك باعتبارهما الشعراء السود لا يتفرقون لمباهج الحب ولا تتاح لهم سعادته الكبيرة والصغيرة ، فالدائرة ضيقة عليهم في هذا المجال . ثم انهم حين يمدون اعينهم و قلوبهم خارج دائرة الانثى السوداء يصابون بالإحباط ، بل بالقتل أحيانا، وعلى هذا الأساس فقد ركز الشاعر الصعلوك الأسود "بصفته خاصة عل الجنس ، وقد يربط بينه وبين الموت (...) ، وقد يكون

اول يكون اول شيء يتذكره و هو على حافة الموت . علىنحو ما نعرف من أمر السليك حين حوصر حصار الموت."[1]

"فالشعراء السود بارعون في توليد الصور الحسية المتحركة الضاجة بالألوان الحارة ، فلنفوسهم المتوزعة بين الكآبة والتحدي ضلَ على صورهم النفسية."[2]

أمَا بالنسبة إلى أبى الطَمحان القيني فكما علمنا من شأنه أنَه كان شخصا خبيثا فاسد الاخلاق، وقد كان تصويرة المراة من النادر القليل في شعره .

وبالعودة الى تأبط شرا نجده يقدم لنا نموذجا لابتدال جسد المرأة وذلك في قوله :

بحليلة البجلى بت من ليلهـــــا بين الازار و كشحها ثم الصق

بأنيسة طويت على مطويـــــها طي الحمالة او كطي المنطق

فاذا تقوم فصعدة في رملـــــــة لبدت بريق ديمة لم تغـــــدق

واذا تجيء تجيء شحب خلفـــها كالأيم اصعد في كتيب يرتقـي

كذب الكواهن و السواحر والهنا ان لا وفاء لحاجز لا يتقـــي

إنَ أوَل ما يطلعنا به الشاعر في هذه الصورة هو أن هذه المراة إنَما هي امراة متزوجة لانها حليلة بجلى – رجل من قبيلة بجيلة – ورغم وضعيتها هذه فهي لم تأنف من بذل جسدها والدخول مع الشاعر في علاقة هي في الأصل محرمة تنبدها الأعراف الجاهلية ، لأنها تدخل فيها نيميه بالمصطلح الحديث "الخيانة الزوجية" وما دام المقام مقام نزوة عابرة ، ولحظة التقاء بين الأجساد لا بين العواطف

[1] عبده بدوي :الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، ص293.

[2] عبد الإله الصائغ :الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ،ص 28.

والقلوب ، فالشاعر لن يهمه من الأمر سوى وصف وضعية اللقاء وعناصر الجمال والإغراء في جسد هذه المرأة ، حيث يبدا صورته بالحديث عن حال اوصفته الاجتماع معها ، فقد قضى ليلته تلك ملتصقا بجسدها ما بين الازار وكشعها ، ثم يمضي في وصف حركاتها ، فهي عندما تقوم تراها مستقيمة معتدلة ، وهي تشبه في ذلك تلك القناة المستوية التي تتخلل قطعة الرمل وقد ابتلت بقليل من ماء المطر ، ثم ينتقل الى وصف حال و حركة مجيئها ...*

أما السَليك بن السلكة فقد استطاع من خلال بيت وحيد ان يجسَد ابلغ صورة للمرأة المتبذلة في شعر الصعاليك ، فهو يذكر إمرأة في اعز ما تملك وهي كرامتها كانثى ، فيصورها ذات شهوة ملحاح ، تطلب الذكر لإشباع رغبتها ، والذكر يبعد عنها فيحييها ادراكه ، وفي هدا يقول[1] :

و لخواء اعياها الاطار ذميـــمة بها لخن ، اشفارها لا تعلـــــم

ويصور الشاعر هذه المرأة ذات رغبة جنسية عارمة وفرج مضطرب كثير الماء ، وهذه الرغبة تجعلها تجهد لتصيد رجلا من اجل اشباع شهوتها ، لكنها تعي ولا يتسنى لها ذلك ، فالرجل يهربون منها لأنها ذميمة ، قبيحة ريح فرجها الذي لم تعرف اشفاره الشق فهي لم تختن .

ومن خلال النموذجين السابقين يتبن لنا ان الشعراء الصعاليك نظروا الى المرأة التي تبدل جسدها وتتخلى عن اخلاقها نظرة مادية لا تخلو من لاحتقار والاستصغار لشانها في كثير من الأحيان ، وهم اذا يتعرضون اليها في اشعارهم ،

*لقد تعذر علينا شرح الأبيات بسبب صعوبة الكلمات وبعد المعنى، كما أن الديوان لم يرد شرحا كافيا ولا تاما.

[1] ديوان السليك بن سلكة ،ص 92.

نراهم يتناولونها من زاوية واحدة وهي زاوية الحسد ، ومن ثم كانت لغة الوصف والتشبيه هي اللغة الغالبة ان لم نقل الوحيدة في رسمهم لهذه الصورة .

الفصل الثاني: صورة المرأة في شعر الصعاليك – نماذج مختارة –

1. المرأة العاذلـــة.
2. المرأة الظاعنــة.
3. المـــــرأة الأم.
4. طيف المـــرأة.
5. السبيـــــــــة.
6. المرأة المبتذلـة.

1. المرأة العاذلة:

يقول الشاعر الصعلوك عروة بن الورد في رائيته:[1]

أقلي عليّ اللوم يابنة منـــــذر ونامي فإن لم تشتهي النوم فاسهري

ذريني ونفسي أم حسان انـنـــي بها قبل أن لا أملك البيع مشتـــــري

أحاديث تبقى والفتى غير خالد إذا هو أمسى هامة فوق صيـــــــــر

وهنا نجد عروة بن الورد يبدأ صورته بحديثه مع زوجته، التي تحاول أن ترده عن أسلوب حياته وطريقة تصرفه في ماله، وفي هذا تتخذ من مكانتها سببا ودافعا لتعجيز الصعلوك وردّه عن هدر وتبذير المال والمبالغة.

ولوم الزوجة هنا مرده سلوك عروة في ماله غير مستقر وهذا انطلاقا من واقعه الاجتماعي، ومكانته في المجتمع والقبيلة التي يعاني فيها من الانحياز والاحتقار.

ومما يدل كذلك على صورة المرأة العاذلة أو اللائمة قوله[2] :

ذريني أطوف في البلاد لعلني أخليك أو أغنيك عن سوء محضـــــري

وفي نجده يطلب منها أن تدعه يواصل في تصرفاته، محاولا إقناعها كي لا ترجع وتلومه مرّة أخرى معاتبة ايّاه.

ويقول عروة بن الورد أيضا[3] :

أرى أمّ حسان الغداة تلومنـــي تخوفني الأعداء والنفس أخـــوف

---

[1] عروة بن الورد ، الديوان ، ص 67.

[2] المصدر نفسه، ص 97.

[3] المصدر نفسه، ص 87.

تقول سليمى لو أقمت لسرنـــا ولم تدر أنَي للمقام أطـــــــوف

لعل الذي خوفتنا من أمامنـــا يصادفه في أهله المتخـــــــلف

وهنا نجد الشاعر عروة يحاول اقناع زوجته لتتركه يخرج غائرا يغزو ويحارب ويطوف الصحراء.

وصورة المرأة العاذلة هنا تكمن في زوجته التي تمنعه من الخروج وتنهاه عنه، فهي تخوفه من الأعداء وتريد أن تبقيه إلى جانبها في بيته خوفا منها عليه، غير أن عروة لا يستجيب لها ويرد عليها، بأن الموت ستصيبه حتى ولو بقي طول حياته مع أهله وهذا من خلال قوله:

لعل الذي خوفتنا من أمامنا يصادفه في أهله المتخلـــــف

وهذه الصورة للمرأة العاذلة كانت انطلاقا من واقع الشاعر الصعلوك فهي نشأت جراء المبادرات والأفعال التي يقوم بها الشاعر، للخروج من حيز الانطواء والانعكاف الذاتي، وتحقيق الاستقلال الذاتي، وكذا ابراز شخصيته كعنصر متفاعل داخل المجتمع.

وفي موقف آخر نجد الزوجة فيه تحث عروة إلى المخاطرة بنفسه وتأمره بالسعي للغنى، يقول:[1]

قالت تماضر إذا رأت مالي خوى وجفا الأقارب ، فالفؤاد قريـــح

مالي رأيتك في الندي منكّســـا وصبَا ، كأنك في الندى تطيح

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة إن القعود ، مع العيال ، قبيح

المال فيه مهابة وتجلـــــــــة والفقر فيه مذلة وفضـــــوح

[1] المصدر السابق، ص 54.

في هذه الأبيات "يبدو الفقر وحشا ينشب أنيابه في نفس عروة"[1]، ويتضح من خلال هذه الأبيات أثر المرأة العاذلة المباشر في تمرد الصعلوك الجاهلي على واقعه، فالمرأة تواجه هذا الزوج بتلك الحقيقة المرّة وتلومه لأن ماله خوى وجفى الأقارب ، والرجال أمسى منكسا وقعوده مع العيال قبيح ومنزّل من مكانة وهيبة الرجل الجاهلي.

كما أن المال فيه مهابة والفقر مذلة وشر لا يمكن احتماله، كل هذه النتائج مصدرها ردة فعل الشاعر الصعلوك لمعاملته من طرف الغير، ومن خلال معاناته وسط القوم الذي يفتقد فيه الروح الاجتماعية وروح التعامل مع أفراد المجتمع أو القبيلة.

ومما لا شك فيه أن قوة التحمل من المآثر التي أشاد بها كثير من الشعراء الجاهليين ولكن شدَة الصعاليك منهم تتأكد بصفة تامة.

وفي موقف آخر يقول الشاعر عروة بن الورد[2] :

تقول:ألا أقصر من الغزو ، واشتكي لها القول ، طرف أحور العين دامع

يقول الشاعر تأبط شرا[3] :

بل من لغذالة ، خذالة أشـبَ حرّق باللَوم جلدي أيّ تحـــــراق

يقول أهلكت مالا لو قنعت به من ثوب صدق ، ومن بزّ وأعلاق

عاذلتي... إن بعض اللوم معنفة وهل متاع وان ابقيته بـــــاق

إني زعيم ، لئن لم تتركي عذلي أن يسأل الحي عن أهل آفـــــاق

[1] د. سني عبد الجليل ، النفس في الشعر الجاهلي.

[2] عروة بن الورد ، الديوان ، ص 82.

[3] تأبط شرا ، الديوان ، شرح المفضليات : 30 ، ديوان الصعاليك : 14.

فالشاعر في هذه الابيات الشعرية له يخاطب المرأة العاذلة التي تستمر في لومها له في كل موقف من حياته، حيث يصور هذا اللوم والعتاب في صورة النّار التي تحرق شيء في هذه الصورة، نار تحرق نفسية الشاعر لأن المرأة هنا تعاتبه في ماله ونمط عيشه، فيحاول اقناعها بأن في اللوم ما يكون مسخوطا لتجاوزه حدّ الرفق وخروجه لطريق الظلم فيطلب منها الرفق، ويقول الشاعر الشنفرى في موقف آخر[1] :

تقول تركت صاحبا لك ضائعا وجئت إلينا فارقا متباطيـــاً

فهنا نجد المرأة تلوم الشاعر وتثنيه عن أفعاله، فهي توبخه على ما قام به حيث أنه رجع من المعركة وترك صابه مقتولا فتقول له كيف تركته والآن ترجع وتعود إلى البيت مترجلا.

فالمرأة هنا تمثل العنصر الحاد الذي طالما يذكر الصعلوك بخسائره ، و إخفافاته في الحياة الأسرية والقومية العامة.

يقول الشاعر عمرو بن براقة [2] :

تقول سليمى لا تعرض لتلفـــة وليلك من ليل الصعاليك نائـم

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم قليل إذا نام الخليّ ، المسالـم

في هذين البيتين نرى أن الشاعر تنهاه المرأة عن المخاطرة بالنفس وتلومه عن ارهاق نفسه ، لكن الصعلوك هنا لا يستجيب لها ويرد عليها ويذكرها بأن نوم الصعاليك قليل، وأنهم يبيتون أحياء من شدة الأرق واضطهاد النفوس.

[1] المصدر السابق : ص 102.

[2] منتهى الطلب من أشعار العرب. شرح ديوان عمرو بن براق.ص 112.

يقول الشاعر الصعلوك السليك بن السلكة[1]:

يعاف وصال ذات البذل قلبـــي ويتبع الممنعة النـــــــــوَارا

وما عجزت فكيهة يوم قامـــت بنصل السَيف واستلبوا الخمارا

فقلب الشاعر في هذه الحالة يشمئز ويعاف لوم المرأة وسخطها عليه لدرجة النفور منها ومن كثرة الطلب والاقتراح، كون أنَ الشاعر يعاني من الكبت والحرمان تزيده هي الأخرى استفساراتها وعذلها.

يقول الشاعر عروة بن الورد[2] :

دعيني للغنى أسعى فإنَي رأيت النَاس شرهم الفقيـــــــر

وأبعدهم و أهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخيـــــــر

فالمرأة هنا تمنع الشاعر من ارتكاب الجرائم وسلب الأموال ، والإغارات التي يقوم بها لكسب المال وسيره وراء الغنى واتباع الأموال. مع العلم أن أغلب الشعراء الصعاليك كانوا فقراء متشردين لا يملكون قوت يوم ، لذلك لجأ بعضهم إلى العنف لكسب الرزق.

يقول الشاعر الشنفرى[3] :

إذا أصحبت بين جبال قوَ وبيضان القرى لم تعذرينـــــي

سأخلي للضَعينة ما أرادت ولست بحارس لك كلَ حيـــــن

[1]السليك بن السلكة ، الديوان ، ص 38

[2]عروة بن الورد ، الديوان ، ص 69.

[3]ديوان الصعاليك ، ص54.

وهنا تبدو المرأة العاذلة تكثر العتاب على الصعلوك لأنها تكبح جماحه فتظهر في صورة مستبدة نوعا ما، فيقول لها الشاعر أنه سيخلي مناوشاتها معه، ويفترق عنها لكي لا تبقى مصرّة على توبيخاتها وتحذيراتها له.

يقول عروة بن الورد[1] :

تقول:ألا أقصر من الغزو، وأشتكي لها القول، طرف أحور العين دامع

سأغنيك عن رجع الملام بمزمـــع من الأمر، لا يغشو عليه المطــاوع

إنَ الشاعر في هذين البيتين يصور المرأة وهي في حالة الحزن والخوف مما قد يصيب زوجها، فهي قلقة حياله وترجو منه أن يوقف هذا الصراع مع الواقع والمجتمع.

يقول الشاعر الصعلوك حاجز بن عوف الأزدي[2] :

قومي سلامان إذا ما كنت سائلــة وفي قريش كريم الحلف والحسب

فالمرأة هنا تحتقر الشاعر لافتقاره المال، كما تحبذ الرجل الغني وتنبذه هو لأنه كان فقيرا لا يملك ثروة، فيذكرها بأصله وقبيلته مفتخرا بنسبه، ويذكرها كذلك بكرم الأخلاق وليس الفحر بالأموال.

يقول عروة بن الورد[3] :

تقول لك الويلات هل أنت تارك ضبوء برجل تارة و بمنســـــر

ومستثبت في مالك العام اننَي أراك على أقتاد صرماء مذكـــر

فجوع لأهل الصَالحين مزلـــة مخوف رداها أن تصيبك فاحذر

[1] عروة بن الورد : ص82.

[2] ديوان الصعاليك.

[3] عروة بن الورد : الدوان ، ص 67-68.

إنَ حياة الصعلوك يحيط بها الخطر من كل جانب، وهو معرض للموت في أي لجظة ، هذا الأمر جعل المرأة مهدّدة بالثكل في أي لحظة مما دفعها إلى الخوف علية، فهي تجد أنه من الحق لها الخوف عليه والقلق، حيث تقف في وجهه معارضة له ولحياته التي اختارها، ونحن ندري كل الدراية أن حياة الصعلوك الصعبة إنما جوهرها وسببها الأصلي معاناته من الجانب المادي والمعنوي.

يقول الشاعر الشنفرى[1] :

دعيني وقولي بعد ما شئت إنّني سيغدى بنعشي مرّة فأغيبَ

فالشنفرى في هذا البيت يطلب من زوجته أن تكف عن لومه، وتدعه حال سبيله، فإنه لابد أن يلاقي الموت في أحد الأيام فلم الخوف.

يقول الشاعر السليك بن السلكة[2] :

تحذرني كي أحذر العام خثعما وقد علمت أنَي امرؤ غير مسلم

وما خثعم إلاَ لئام أذلَة إلى الذَل ولإسحاق تنمي وتنتمي

وهنا نجد السليك يرد على المرأة العاذلة بفخره على خلاف القوم، الذي قام بأسره، وهي تقوم بتحذيره منهم عليه.

يقول الشاعر الصعلوك السمؤال[3] :

عفا من آل فاطمة الحبيب إلى الإحرام ليس بهَن بيت

[1] الأغاني ،جزء 21 ،ص161 ، ديوان الصعاليك : ص 11.

[2] ابن السكيت ، شرح ديوان السليك بن السلكة ،حزانه الكتب العربية ، مطبعة جول كربوبل، باريس، سنة 1926، ص286.

[3] ديوان السمؤال ، ديوان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، سنة 1982، ص 79.

أعاذلتي قولكما عصيـــــــــت لنفسي إن رشدت وإن غويـت

ويقول في موقف آخر[1] :

أعاذلتي ألا تعذلينـــــــــــي فكم من أمر عاذلة عصيـــت

دعيني وأرشدي إن كنت أغـــوى ولا تغوى زعمت كما غويـــت

إن السمؤال في هذين البيتين يطلب من عاذلته أن توقف عذلها ولومها عليه لأنه كم من عاذلة سبقتها ولم يستجب لأمرها، ويقول لها دعيني وشأني فيما أنا عليه، أعيش أيامي بالتصعلك والتمرد رشدت أنا أم غويت.

ويقول أيضا[2] :

أعاذل قد أطلت اللوم حتـــَى لو أنَي منتهٍ، لقد انتهيـــت

وصفراء المعاصم قد دعتـني إلى وصل فقلت لها أبيـــت

وحتى لو يكون فتى أنـــاس بكى من عذل عاذلةٍ بكيـــت

يرجع السمؤال ويطلب طلق العنان له ويقول للمرأة مخاطبا لها: لو أنني ميت لمت، ليس بأسلوبه وتمرده على المبادئ الاجتماعية فقط ، يلقى حتفه، فهناك من توفي المنية وهو على غير طبيعة التصعلك.

وهنا تشكل العاذلة عائقا وهاجسا أمام رغبات الصعلوك، فهي حريصة كل الحرص على زوجها أو حبيبها، فهي المرأة المثالية في صون شرف وعرض زوجها، حيث تدعو له

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر السابق، ص 80.

بالخير وتنهيه عن الشر والرذيلة ليستوي ويستقيم في تصرفاته ازاء غيره من الناس فهي محافظة لزوجها.

2. المرأة الظاعنة :

يقول الشاعر الصعلوك عروة بن الورد[1]:

سقى سلمى وأين ديار سلمى إذا حلَت مجاورة السَريـــــــر

إذا حلَت بأرض بني علـــــيَ وأهلي بين زامرة وكيـــــــــر

ذكرت منازلاً من أم وهـــــب محلَ الحيَ أسفل ذي الَنقيــر

إنَ الشاعر في هذه الأبيات يصف رحلة المرأة وانتقالها من ديارها وهو هنا يصورها ويصف ترحالها من موضع إلى آخر كما يذكر منازل المرأة الظاعنة في كل موضع بعد تركها لها ومغادرتها.

ويقول في موقف آخر[2]:

تحنَ إلى سلمى بحرَ بلادهـــا وأنت عليها بالملا ، كنت أقـدرا

تحلَ بوادٍ ، من كراءٍ ، مضلـةٍ تحاول سلمى أن أهاب وأحصرا

وكيف ترجيها، وقد حيل دونها وقد جاورت حيَا بتيمن منكـــرا

نجد عروة في هذه الأبيات يصف الحنين والشوق اتجاه المرأة التي قد غادرت الدَيار، كما يرسم لنا صورة لهذه الدَيار التي هجرتها، وهنا يصرَح كذلك بعدم استطاعته بأن يمنعها من الرَحيل وهنا تتجلى صورة المرأة الظاعنة في شعر الصعلوك.

[1] ابن السكيت :شرح ديوان عروة بن الورد،حزانة الكتب العربية،مطبعة جول كربونل،د.ط،باريز،سنة 1926،ص 43.

[2] المصدر نفسه،ص 53-54.

وفي أبيات أخرى يقول الشاعر عروة[1]:

عفت بعدنا من أمَ حسَان غضور وفي الرَحل منها آية لا تغيــرَ

وبالغَر و الغَراء منها منـــــازل وحول الصَفا من أهلها متدوَر

وكذلك هو حال الصعلوك في هذه الأبيات يصف أم حسان أثناء رحيلها حيث يذكر أسماء الأماكن والدَيار التي كانت تسكنها ومن خلالها يكشف عن صورة المرأة المسافرة، وتشبتها بقراراتها في الرَحيل، التي اضمحلَت فيه.

يقول عروة بن الورد[2]:

أبلغ لديك عامرا إن لقيتـــــــها فقد بلغت دارالحفاظ قرارهـــــا

رحلنا من الأجبال ،أجبال طـيء نسوق النَساء عوذها وعشارها

بالإضافة إلى ذلك نجد عروة يصرح بحفاظ المرأة وأهلها على حسبها، وهنا نجده يصف حالة النساء وسط محفل الرحيل، فهو يريد أن يبين مدى تحمل المرأة الظاعنة تعب وأرق الرحيل ،ويصفها وهي تصارم ،يقول[3] :

ترى كل بيضاء العوارض طفلــة تفري إذا شال السَماك صدارها

وقد علمت أن لا انقلاب لرحلـها إذا تركت من آخر اللَيل، دارها

يصف عروة في هذين البيتين الفتاة إثناء مشيتها يوم الرحيل مصورا كل موضع من جسدها، وهذا تجسيد لمدى طمأنينتها رغم شقائها.

[1] المصدر السابق، ص 127,

[2] ديوان العرب: ديوان عروة بن الورد والسمؤال ،دار بيروت،بيروت–لبنان،دط،دت،ص43.

[3] المصدر نفسه.

يقول كذلك[1] :

أرى أمَ سرياح غدت في ظمائن تأمَل، من شام العراق تطوَف

في هذا البيت يصف عروة أمّ السرياح التي تمثل هذه المرأة الظاعنة، وهي تغدو طائفة من الشام إلى العراق وهنا تكمن رحلتها.

يقول الشاعر الصعلوك الشنفرى[2] :

ألا أم عمرو أجمعت فاستَقلــت وما ودَعت جيرانها إذا تولّت

وقد سبقتنا أم عمرو بأمرهـــــا وكانت بأعناق المطيّ أضلّت

في مقدمة هذه الأبيات للشاعر الصعلوك الشنفرى، نجده يستهل قصيدته بحديثه عن أم عمرو أثناء أو يوم رحيلها ووداعها، حيث نجدها متخذة قراراتها لوحدها، ومتفردة برأيها حيث يصورها الشاعر وهي ترتب لرحلتها، وهي بهذا تكون مفاجئة للصعلوك بقيامها لفعل الرحيل والسَفر دون توقعه لرحيلها وهذا من خلال قوله: أجمعت فاستقلت...وما ودّعت جيرانها إذا تولت.

وكذلك نجده يصور سرعة رحيل المرأة الظاعنة "أميمة" ويتضح ذلك من خلال قوله (أمست فباتت فأصبحت)(فقضت فاستلقت فولّت) وهذا ما يؤكد قوة شخصية المرأة الظاعنة وإرادتها وعزيمتها للسفر والرحيل، وإلى جانب هذا يصرح الشاعر بأنها لاتملك صفة المقت أو البغض ولا من أصحابه فيقول[3] :

بعيني ماأمست فباتت فأصبحت فقضت أمورا فاستقلَت فولَــت

[1] أسماء أبو بكر محمد: ديوان عروة بن الرد أمير الصعاليك، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط،سنة 1998،ص 35.
[2] طلال حرب: ديوان الشنفرى ويليه ديوان السليك وعمرو بن براق، دار صادر، لبنان-بيروت، ط1، سنة 1996،ص 35.
[3] المصدر نفسه.

فوا كبداً،على أميمة بعدمـــــا طمعت ، فهبها نعمة العيش زلّت

فيا جارتي ، وأنت غير مليمـــةٍ إذا ذكرت ولا بذاتٍ تقلَـــــــت

وفي قوله[1] :

لقد أعجبتني لاسقوطا قناعهـــا وإذا مشت ولا بذات تلفّـــــت

تبت بعيد النَوم ، تهدي غبوقها لجارتها إذا الهديَة قلَـــــــت

فهنا يظهر الشاعر معجب بها وذلك من خلال تحشمها وهو في هذه الحالة يصور المرأة في صورة مثالية على خلاف النساء الأخريات، فهي صائنة لزوجها حافظة لشرفه، وبهذا تكون أحسّته بطعم حلاوة الحياة التي طالما افتقدها داخل مجتمعه، ثم يقول: تبيت بعيد النوم تهدي غبوقها وهو (شراب المساء) والشاعر يطلعنا على فعلها في زمن تقل فيه الهدية لكثرة القحط والجدب، فهو يصور المرأة الكريمة المحسنة وهنا تتجلى صورة المرأة السخية، يقول[2] :

تحلَ بمنجاة من اللَوم ، بيتهـــا إذا ما بيوت بالمذمَة حلّـــت

كأنَ لها في الأرض نسيا تقصّـه على أمّها ، وإن تكلَمك تبلـت

أميمة لا يخزى نثاها حليلهـــــا إذا ذكر النَسوان عفت وجلَـت

وهنا تكمن صورة المرأة الظاعنة من جوانب أخلاقية، فهي عفيفة طاهرة كل ما رجع زوجها إلى البيت، يرجع إليها فاخرا سعيدا وبالرغم أن الصعلوك متمرد وطاغي على أعراف ومبادئ القبيلة، إلا أنّها باتت تصونه وتكرمه وتكرم الغير وهنا يجسد الشاعر الصفة الحسية للمرأة التي لم يجدها في مجتمعه كونها مثالية.

[1] د.اميل بديع يعقوب: ديوان الشنفرى، دار الكاتب العربي، لبنان–بيروت، ط2، سنة 1996، ص 32.

[2] الشنفرى: الديوان، ص31.

وفي هذه الأبيات تظهر المرأة الظاعنة في صورة تختلف عن صورتها في الأبيات الأولى، فهي مثالية مترفعة في حين كانت مستبدة متمسكة برأيها، وهذا ينعكس نوعا ما على نفسية الصعلوك لأنه مخالف للمجتمع، فنفسية المرأة تنطوي على نفسيته في تراجعها عن الرحيل مثلا أو بإسقاطها على واقع الصعلوك الاجتماعي فتتضح بذلك صورة المرأة المستعصية، وتعكس واقع الصعلوك الحالي، في حين الصورة المثالية تعكس الواقع الذي يرغب فيه الشاعر ويطمح إليه وهو الواقع الذي يحظى فيه بالسلام والألفة، فمثالية المرأة عنده تعكس مثالية المجتمع الذي يتوق إليه وبما أنها الصورة التي يرغبها، إلاَ أنَه يصرح باستحالة تجسيدها واقعيا لأن الواقع الذي يعيشه يسير ضدَ هذا التصور.

ويقول الشنفرى في موقف آخر[1] :

إذا ماأصبحت بين جبال قــوَ وبيضان القرى لم تحذريني

سأخلي للظَنعينة مـــا أرادت ولست بحارسٍ لك كلَ حين

إذا ما جئت ما أنهاك عنـــه فلم أنكر عليك فطلَقيـــني

يتحدث الشنفرى في هذه الأبيات عن رحلته مع امرأته وانتقاله بين كل موضع من البلاد، حيث يذكر أنه يقول لها إما أن تترك أمر ترحالها وتستقر معه وإما يتركها تتابع سفرها(ولست بحارس لك كل حين).

وفي أبيات أخرى للسليك بن السلكة، يقول فيها[2] :

أشاب الرَأس أنَي كلَ يـــــوم أرى لي خالة وسط الرّحال

يشق عليّ أن يلقين ضيمـــاً ويعجز عن تخلَصهنَ حالي

[1] الشنفرى: الديوان ، ص 79.

[2] السليك بن سلكة، ص 87-89,

تحمل هذه الأبيات مرارة الظلم الإجتماعي، إذ تترك السليك صاحبته وتميل إلى الشبان الذين يطيلون شعرهم على أكتافهم، الذي ينامون الضحى مهتمين بشكلهم، غير قادرين على كسب قوتهم بأيديهم، ثم يثني الشاعر هذه المرارة بظلم أشد وأعمق أثرا في النفس وهو أن قريباته ظللن إماء ولا يقوى على فك أسرهن لضيق ذات اليد.

فهو هنا يوثق فشله في علاقاته مع المرأة، التي صدته لسواد وانتقلت خادمة وسط الرَحال من سيد إلى آخر وهو عاجز عن تخليصها من هذا التنقل والترحال والعبودية.

3. المرأة الأم:

لقد بلغ من كرامة الأم على الصعاليك ووفور منزلتها بينهم أن السليك بن السلكة السعدي-وأمه جارية حبشية- أطار نومه. "وأثار همه، أن تشتمل بلاد العرب على خالاته، ونظائر أمه جواري قد ملكهن الرّق، وأزرى بهن التبذل وود لو وجد من ذات يده ما يمكنه من افتدائهن جميعا"[1]. حيث يقول[2] :

ألا عتبت عليَ فصارمتني وأعجبها ذوو اللَمم الطَـــوال

فإنَي يابنة الأقوام أربـــي على فعل الوضيء من الرَجال

أشاب الرَأس أنَي كلَ يوم أرى لي خالة بين الرَحـــــال

يشقَ علي يلقين ضيمـــا ويعجز عن تخلصهنَ حالـــي

فالشاعر يدافع عن أرق أمه وخالاته ،ولم يغض أبناء الإماء عن مهانة تلحق بأمهاتهم، وإنما دافعوا عنهن وأحسنوا، فالسليك بن السلكة برغم علمه أنَ أمه كانت أمة سوداء فقد حاول الإرتقاء بها من منزلة النساء الحرائر نظرا للمكانة الرفيعة التي تحتلها في نفسه، فهو وبطريقة أخرى يريد أن يقول: إن أمي هي ابنة الأحرار وإن كانت أمة فهي في نظري حرّة، وربما قصد هنا أفعالها وأخلاقها التي تضاهي ما تقوم به النساء الحرائر في المجتمع الجاهلي.

وكيف لا يكون موقف تأبط شرا من أمه كذلك وهي التي تقول[3]فيه: "والله ما حملته تضعا، ولا وضعا، ولا وضعته يتنا، ولا أرضعته غيلا، ولا أنمته مثقا".

---

[1] عبد الله عفيفي: المرأة العربية، جزء1، ص 80.

[2] المبرد: الكامل، جزء1.

[3] ابن عبد ربه : العقد الفر ، تح: محمد سعيد العريان، دار الفكر، جزء7، ص111.

ومن الصعاليك الذين كانوا يفتخرون بأمهاتهم كونهن لسن من الإماء، حيث يجد أن ذلك نقيصة قد تحط من قدره، وتجعله عرضة للنيل منه عند أعدائه، ومن الشعراء الذين افتخروا بذلك القتال الكلابي، الذي يفتخر أنه ليس من الإماء، حيث يقول[1] :

أمَا الإماء فلا يدعونني ولدًا إذا تنادى بنو الإموان بالعـــار

فالشَاعر لايخشى أن يعيره أحد بأن أمه أمة، وذلك إذا سب الناس بعضهم بعضا.

وفي أبيات اخرى يبرأ من أن تكون أمه أمة، لذلك لن يعيَره أحد بها، كما يعيَر الناس بعضهم بعضا، فهو لم يرضع إلا ثدي امرأة حرة شريفة النسب، حيث يقول[2] :

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي إذا ترامى بنو الإموان بالعـــار

أمَا الإماء فلا يدعونني ولـــدًا إذا تحدَّث عن نقصي وإمـــراري

لا أرضع الدَهر إلا ثدي واضحةٍ لواضح الخدَ يحمي حوزة الجـار

من آل سفيان أو ورقاء يمنعها تحت العجاجة ضرب غير عـوار

وفي بيت آخر يفتخر بأمه عمر بنت حرقة من ربيعة، وأنها حرّة لم تكلف جمع الحطب كالإماء، فيقول[3] :

لقد ولدتني حرّة ربيعيَـــة من اللاَء لم يحضرن في القيظ دندنا

إن القتال الكلابي كان يرى أن عرق الخال نزّاع، لذلك سعد لأنه ليس بابن أمة لئلا تسرى إليه أخلاق العبيد، فالعروق لابد نازعة بالإنسان إلى اخواله، يقول[4] :

---

[1] البطليوسي: الحلل في اصلاح الجمل، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، بغداد، سنة 1980، ص 464.

[2] المبرد: الكامل.

[3] أحمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي، ص 80.

[4] كتاب الرياض، العدد:81-82، في أفياء الشعر، ص 204.

أمَا الإماء فما يدعونني ولـــدًا بنفسك فانظر من أبوها وخالها

إنَ العروق إذا استنزعتها نزعت كما قيس من نعلٍ بنعلٍ مثالها

وفي أرجوزة يمدح فيها رجلا نجده يوازن بينه وبين آخر بأصالة كل من خاله وعمه، يقول[1] :

تخيَري خيَرت في الرَجال

بين قصير باعه تنبـــال

وأمَه راعية الجمـــــــال

تبيت بين القتَ والحعـال

****

أذاك أم مخرَق السَربـــال

كريم عمَ وكريم خـــــال

إنَ القتال الكلابي يمزج في فخره بأمه بين كونها حرة شريفة، وليست من الإماء، وبين كونها ذات حسب، مدركا أهمية الأخوال بالنسبة للإبن، حيث أن الفتى لابد نازع إلى أخواله.

وفي بيت آخر تظهر مكانة الأم عند الشاعر ومالها من تأثير في الآخرين حيث يذكر الشاعر أرحامه ويعتز بشرفهما، مذكرا بما لها من خصاصة وحرمة حيث يقول مستعطفا أحد أقربائه[2] :

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الفكر، دط، دت، جزء 20، ص 159.

[2] الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، تحقيق ابراهيم السامرائي، ط1، سنة 1968م،ص 17.

فإنَا بنو أمَين أختين حلَتـــــا بيوتهما في نجوة فوق أبهـــر

وبعد فإن القتال الكلابي يعتبر مثالا واضحا للصعلوك الذي يعتز بأمه ويفخر بحسبها ونسبها، ولا يجد حرجا في الانتساب لها صراحة، معتدا بها، ويرى أنها احلته بمنأى عن العار أو النقص الذي لحق بكثير من الصعاليك، وهذا الموقف من الأم نجده عند أبي خراش الهذلي الَذي نسب إخوته لأمه وصرَح باسمها حيث رثا اخا له فقال :[1]

فقدت بني لبنى فلما فقدتهـــم صبرت فلم أقطع عليهم أباجلي

ولبنى هذه هي أمهم.

وفي بيت اخر يقول:[2]

اصيبت هذيل بابن لبنى وجدَعت أنوفهم باللوذعي الحلاحـــــــل

ويقول عروة بن الورد :[3]

هم عيروني أنَ امي غريبـــــــة وهل في كريم ماجد ما يعيـرَ؟

وقد عيَروني المال حين جمعتـــه وقد عيَروني الفقر إذا ما مقتـر

وعيَرني قومي شبابي ولمَتـــــي متى ما يشاء رهط امرئ يتغيـرَ

ولا أنتمي إلاَ جار مجـــــــــاور فما اخر العيش الَذي اتنظـــر؟

وفي هذه الأبيات يتحدث عن الأذى الذي لحق به من قومه ، فقد عيَروه بأمه ، وعيَروه بفقره حين كان فقيرا ، وعيَروه بغناه حين كان غنيا، وعيَروه في شبابه وشيبه، وهو يصرَح بذلك في شعره ، معبَرا عن حياة كلَها هموم ومعاناة، كلَها جفاء وازدراء.

---

[1] أبو الفرج الاصفهاني: الأغاني،دط، دت، جزء21،ص244.

[2] المرجع نفسه،ص245.

[3] عروة بن الورد: الديوان،ص58-59.

4. طيف المرأة:

يقول مالك بن حريم الهمداني:[1]

تذكَرت سلمى والرَكاب كأنَـــــها قطا وارد بين اللَفاظ ولعلـــــــعا

فحدَثت نفسي أنَها أو خيالـــــها أتانا عشاء حين قمنا لنهجعـــــا

فقلت لها بيتي لدينا وعرَســـــي وماطرقت بعد الرَقاد لتنفعـــــــا

ومنعمَة لم تلق في العيش ترحة ولو تلق بؤسا عند ذاك فتجدعا

أهيم بها لم أقض منها لبانـــــة وكنت بها في سالف الدَهر موزعا

كأن جنى الكافور والمسك خالصًا وبرد النَدى والأقحوان المنزَعـــا

وقلتا قرت فيه السَحابة ماءهـــا بأنيابها والفارسيَ المشعشعـــــا

في هذه الأبيات يأتي طيف صاحبة الشاعر ليلا مع موعد النوم، وهو الموعد الذي يكثر فيه طرق الطيف عند أكثر الشعراء الجاهلين، ويبدو مالك وقد تذكر محبوبته "سلمى" شديد التشوق إليها فمجرد ذكرى تجعله يستحضر طيفها إلى جانبه، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل نجد أنه لا يميز بين سلمى وخيالها ، فينظر إليهما على أنها سواء، وعلى هذا الأساس نجده يعطي لهذا الطيف خصائص إنسانية محضة، ومن ثم فهو يدعو حبيبته من خلال طيفها إلى النزول والاستراحة والمبيت لديه ثم ينتقل سريعا إلى الحديث عن سلمى وصفاتها وكيف كانت حاله معها في سالف الأيام.

[1] محمد نبيل طريفي: ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، جزء2، ص 128-129.

5. السبية:

يقول حاجز الأزدي[1] :

إن تذكروا يوم القريّ فإنـــــه بواء بأيَام كثر عديدهـــــا

فنحن أبحنا بالشَخصية واهنـا جهارا فجئنا بالنَساء نقودها

في هذين البيتين يفتخر حاجز الأزدي في معرض ردّه على عزيل الخثعمي الذي عيّر حاجزا بطعنة طعنها إياه عمرو بن معد يكرب في احدى غارات خثعم على بني سلامان فقال حاجز مذكرا أعداءه بأيام كثيرة لهم هزموا أعداءهم، وسبوا نساءهم، وجاءوا بهن يقودهن صاغرات ذليلات، وهذا الوصف فيه من التشفي وإيلام العدّو مافيه.

وافتخر أيضا بسبيه نساء بني هلال، وذلك أن ضمر بن ماعز سيد بني هلال قتل حجاجا مروا ببني هلال بن عامر بن صعصعة، فبلغ ذلك حاجزا، فجمع جمعا من بني قومه وأغار على بني هلال فقتل فيهم ،وسبى منهم ،وفي ذلك يقول مخاطبا ضمرة بن ماعز[2] :

يا ضمر هل نلناكم بدمائنـــا أم هل حذونا نعلكم بمثـــال

تبكي لقتلى من فقيم فقَتلـــوا فاليوم تبكي صادقا لهـــلال

ولقد شفاني أن رأيت نساءكم يبكين مردفةً على الأكفـــال

إنَ حاجزا لم يشف غليله، ويذهب ما في صدره ،رؤيته القتلى من أعدائه، ولكن الذي شفاه وأذهب همه وأطفأ نار صدره المتأججة على أعدائه هو رؤيته النساء الباكيات وقد أردفن على مؤخرات الرحل.

---

[1]أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: احسان عباس، ابراهيم السعافين، بكر عباس، دار صادر، بيروت–لبنان، ط1، سنة 2002، جزء13، ص 149.

[2]المرجع نفسه، ص 151.

ويفتخر قيس بن الحدادية بنصره على هوزان، وأخذه أموالهم، وسبيه نساءهم، حيث يروي صاحب الأغاني أن قيس بن الحدادية جمع قومه فأغار على جموع هوزان فأصاب سبيا ومالا، وقتل يومئذ من بني قشير:أبا زيد وعروة وعامرا وروحا، وأصاب أبياتا من كلاب خلوفا، واستاق أموالهم وسبيا، ثم انصرف وهو يقول[1] :

قرعنا قشيراً في المحل عشَيــة فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا

قتلنا أبا زيد وزيدا وعامـــــرا وعروة وأقصدنا بها ومروحـــــــا

وأبنا بإبل القوم تحدى ونسـوة يبكين سلوًا أو أسيراً مجرَحـــــــا

غداة سقينا أرضهم من دمائهم وأبنا بأدم كنَ بالأمس وضّحـــــــا

وافتخر أيضا بأنهم يتزوجون النساء بغير مهور،بعد أن سبوهن بسيوفهَن، فيقول[2] :

وأنا بلا مهر سوى البيض والقنا نصيب بأفناء القبائل منكحـــــــا

وغزت عبس طيء، بعد قتل عنترة بن شداد، فسبوا نساءهم خارجات من الجبل فتبعهم إلى طيء، فقاتلتهم عبس حتى ردّوهم إلى جبلهم، وجاؤوا بالنساء إلى بني عبس فقال عروة مفتخرا متشفيا[3] :

أبلغ لديك عامرا إن لقيتـــــــها فقد بلغت دار الحافظ قرارهـــــا

رحلنا من الأجبال أجبال طـــيء نسوق النَساء عوذها وعشارهـا

ترى كلَ بيضاء العوارض طفلــة تفري ، إذا شال السَماك صدارها

وقد علمت أن لا انقلاب لرحلها إذا تركت من آخر اللَيل دارهـــا

---

[1]المرجع السابق، جزء 14، ص 94-95.

[2]أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دط، دت، جزء 14،ص 141.

[3]عروة بن الورد: الديوان، ص 76.

إن عروة يفتخر بأنهم ساقوا نساء طيء سوقا مهينا، ويذكر أن فيهن الحوامل والمرضعات، وصغر السن اللائي يئسن من العودة لديارهن.

ويفتخر مالك بن حريم الهمداني، بانتصاره على أعدائه، وتركه قتلاهم في أرض المعركة تحوم الطير فوقهم، وعيرهم بأنهم ولَوا هاربين تاركين خلفهم نساءهم كأنَهن الظباء يقعن سبايا في يد عدوهم، يقول[1] :

ورهط المازني وأبي كعيب تركناهم كباقية الرَمـــــــــاد

تحوم الطَير فوقهم وجالت على خولان بالأسل الحـــــداد

فولَوا عند ذلك وأمكنونـــا من البيض الأوانس والخـــراد

غنيمة جيشنا من كلَ حيَيَ عكّرة الطرائف والتـــــــــَلاد

ولعسَ كالظَباء مردَفـــات كأنَ عيونها واهي المـــــزاد

إنَ هذه الصورة المؤلمة المفزعة، التي ترسم بوضوح امتهان المرأة وإذلالها، ومعاملتها بقسوة وخشونة، على الرغم من رقتها وضعفها، يوضح بجلاء الجو السائد في العصر الجاهلي، والذي يحاول فيه الشعراء ايلام أعدائهم بكل طريقة ممكنة، لذلك يلجؤون إلى مثل هذه الصور وهذه الأوصاف.

ويلجأ الشعراء أحيانا إلى ذكر مفاتن السبايا وجمالهن من أجل إيلام أعدائهم، وإذلالهم وقهرهم، فقد تجد من يشبههن بالظباء، والغزلان، مثل حاجز الأزدي الذي يقول[2] :

وأعرض جامل عكر وسبيَ كغزلان الصَرايم من بحـــــارٍ

وشبههَن مالك بن حريم بالظباء، وأنهن من النساء البيض الخرائد الجميلات، يقول[1] :

[1]انظر شعر مالك بن حريم، في موسوعة الشعر.

[2]شعر حاجز الأزدي، موسوعة الشعر

فوَلوا عن ذاك وأمكنونـــــــا من البيض الأوانس والخرائـــد

غنيمة جيشنا من كلَ حـــــيَ معكرة الطَرائف والتـــــــــلاد

ولعس كالظَباء مردفـــــــات كأنَ عيونها واهي المـــــــزاد

إنَ هؤلاء النسوة الخرائد الحسان ،البيض الأوانس، المنعمات قد يصبحن سمرا من البياض من شدّة ما يلاقين من قسوة الأعداء، ومن ذلَ السَبي وغلبته، يقول قيس بن الحدادية[2] :

غداة سقينا أرضهم من دمائهم وأبنا بأدم كنّ بالأمس وضَحا

وكذلك في قول ذي الكلب الهذلي، الذي كان يقسو على السبايا ويعاملهن بغلظة وشدَة، وقسوة بالغة انتقاما من أهلهن، وشفاء لما في صدره من غيظ، وحقد دفين، فتضرب النَساء(نساء بجيلة) صدورها ووجوهها بالنَعال وتنوح حزنا على قتلاها، يقول[3] :

وأبرح في طوال الدَهر حتَى أقيم نساء بجلة بالنَـــــعال

.

[1]شعر مالك بن حريم، موسوعة الشعر.

[2]أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دط، دت، جزء 14، ص 141.

[3]أبو سعيد بن الحسن ابن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة الميدني، القاهرة- مصر، دط، دت، جزء1، ص 233.

6. المرأة المبتذلة:

يقول تأبط شرا في إحدى مقطوعاته التي يقدَم لنا فيها صورة فاحشة شكلت المرأة نصيبها الأكبر وذلك في قوله:[1]

مالك من أير سليب الحلَه

عجزت عن جارية رفلـــــه

فتمشى إليك مشية هركلـه

كمشية الارخ تريد العلَـــه

لو أنها راعية في ثلَـــــــه

تعمل قلعين لها قبلـــــــه

لصرت كالهوارة العبلـــــــه

يصوَر تأبَط شرا هذه المرأة وقد تغنجت في مشيتها وهي تتبختر، وترتدي ثوبا طويلا تجرَه جرا حسنا، فهي تسير ببطيء واختيال ،تحاول أن تغري بالشاعر وتوقع به في شباكها، وهي تقصد من وراء ذلك كله إلى محاولة الدَخول معه في علاقة حميمية وقضاء وطرها من المتعة واللذة...

والشَاعر يصور هذه الجارية تملك جرأة في المجاهرة بغرضها والتصريح برغبتها في الممارسة الجنسية، بينما يعجز هو عن مجراتها، ولا يسعفه الحظ في قضاء حاجاتها رغم رغبته في ذلك .

[1] تأبط شرا: الديوان،ص47.

وهو يقدَم لنا بعض الأوصاف الأنثوية التي توحي بالإغراء والإثارة من مثل كلمة "رفله" والتي تعني المرأة الكثيرة اللحم، "وصورة المرأة الممتلئة الجسم التي تميل إلى البدانة من الصَور المهمَة في نظر الأنسان القديم، (....) لتحقق الشروط المثالية التي تؤهَلها لوظيفة الأمومة و الخصوبة الجنسية.

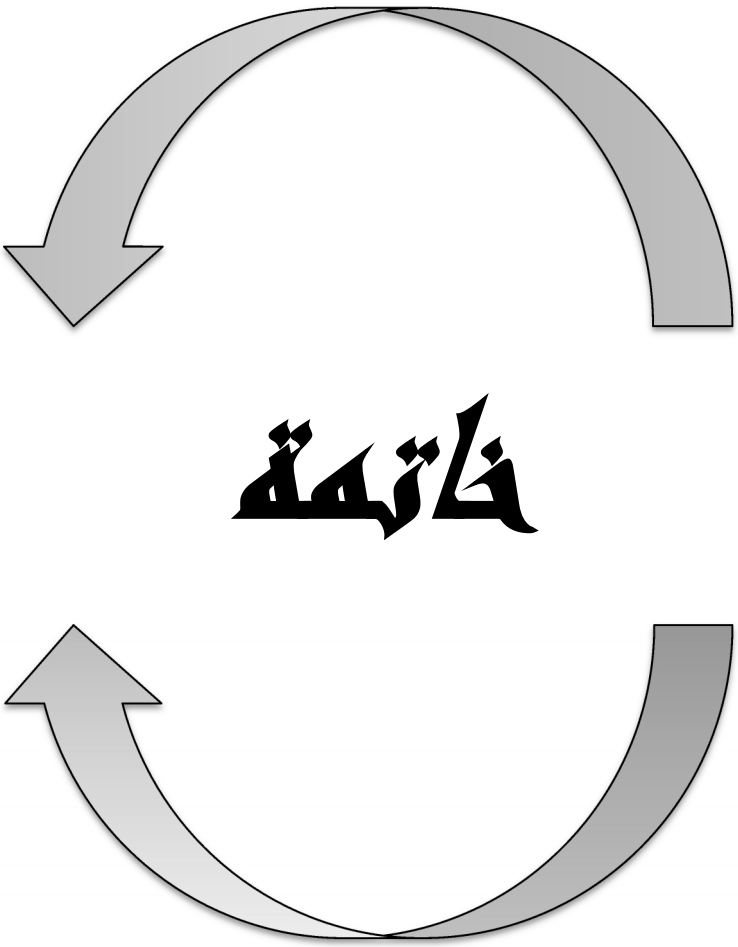

خاتمة

خـــــــــاتمة:

كانت المرأة من موضوعات الشعر الجاهلي وبخاصة في أشعار الصعاليك والذي كان موضوع بحثنا، حيث اتخذنا له نماذج ثلاثة من شعراء الجاهلية الصعاليك، ويمكن تلخيص النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

- ستحدثنا في مدخل البحث عمن مفهوم الصعلكة وأسبابها وتطرقنا إلي تعريف بعض الشعراء الصعاليك بالإضافة إلى طوائف الصعاليك ومناطق إغارتهم .

- تناولنا أنماط صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك فوجدنا أن الشاعر الصعلوك اعتمد في رسم صورة المرأة العاذلة على تقنية الحوار والإقناع، كما افترضنا في هذا السياق أن الصعلوك يخاطب عاذلته ظاهرا ولكنه يخفي حديثا يجري بينه وبين نفسه في فهم معنى الحياة

- كما وجدنا أن الشعراء الصعاليك قدموا صورتين للمرأة الظاعنة : الصورة المستبدة التي تعكس واقع الصعلوك الحالي، والصورة المثالية: والتي تعكس طموح الشاعر إلى نمط آخر من الحياة.

- كما أقررنا تلك العلاقة الميزة بين الصعلوك وأمه كونه لم يحظى بعطف الأم منذ الصغر، فكانت هي الأقرب إليه فهي إما سبية وأمة وإما وضيعة النسب، رغم هذا إلا أن الصعاليك حاولوا تجاوز هذا الواقع ولم يسمحوا لأنفسهم بتوجيه أي نوع من السخط أو الإهانة لأمهاتهم ونظروا إليها نظرة إجلال وتوقير .

- إن صورة طيف المرأة عند الشعراء الصعاليك تحتل مطالع القصائد، وكان من الطبيعي لجوء الصعلوك إلى الحلم لتحقيق ما عجز عنه واقعيا على الرغم من قلة شعره الذي يختص بذلك، كما لاحظنا أن الصعاليك على الرغم من لجوئهم إلى استحضار خيال المرأة إلا أنهم لم يسترسلوا في الحديث عنها.

– جاءت صورة السبية في شعر الصعاليك لتعكس حدة المعاناة والاضطهاد الذي عانته المرأة السبية الخادمة، فضمنها الصعلوك همومه، وعند تصويره لهذه المرأة نجده يركز على الطريقة التي تم بها فعل السبي.

– وفي آخر صورة قدمها الشعراء الصعاليك للمرأة وهي الصورة المبتذلة، حيث لاحظنا أنهم كانوا ينظرون إلى هذا النوع من النساء بقليل من الاحتقار والاستصغار كما أنهم لم يتناولوها في أشعارهم كثيرا وهذا ربما لقلة اهتمامهم بهذه المرأة وكان وصفهم لها مع أنه يكاد لا يظهر بلغة الوصف والتشبيه.

وفي الأخير نستنتج بأن المرأة احتلت مكانة هامة عند الشعراء الصعاليك، بحيث قاموا بتصويرها من نواحي وصور عدَة.

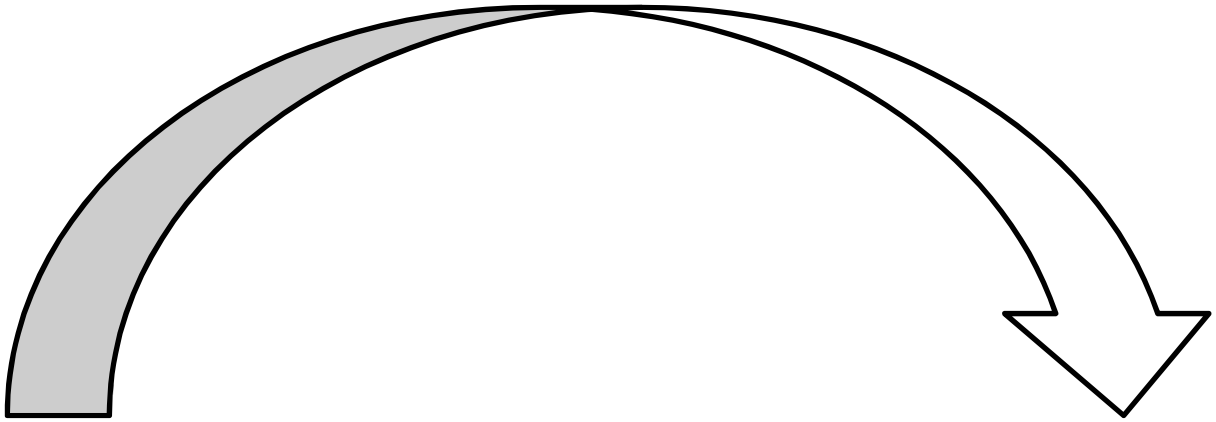

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم .

أ- المصادر:

1) الشنفرى : الديوان ، شرح وتحقيق ،إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، 1996م ، ط2 .
2) السليك بن السّلكة : الديوان ، شرح ، إبن السكيت ، خزانة الكتب العربية، مطبعة جول كرونوبل ، باريس ، 1926م، ط 2 .
3) عروة بن الورد أمير الصعاليك : الديوان، شرح ، أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1998م ، دط .
4) الشنفرى: ديوانه وديوانا السليك وعمر بن براق ، شرح ، طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1996 م ، ط 1.
5) عروة بن الورد :الديوان ،شرح، إبن السّكيت يعقوب بن إسحاق ،تحقيق ، عبد المعين الملوحي ، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،1966 ، دط ، دت .

ب- المراجع:

6) ابو فرج الأصفهاني : الأغاني، تحقيق، د أحمد محمد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، 1990م،ط8.
7) ابو زيد محمد بن أبي طالب القرشي : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام،تحقيق،علي محمود البجاوي،دار النهظة،القاهرة،مصر،دط،دت.
8) الأصمعي : الأصمعيات ،تحقيق،أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون ،دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،1993م، ط7.
9) المبرّد : الكامل ،تحقيق ،محمد أحمد الدالي ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان،1993م،ط2.
10) البطليوس :الحلل في إصلاح الجمل ، تحقيق ، سعيد عبد الكريم سعودي ،بغداد ، العراق ، 1980م ،ط4.
11) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق ، محمد سعيد العريان ، دارالفكر للطباعة والنشر ،دط ،دت ، ج7.

12) الزمخشري : الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق ، إبراهيم السّامرائي ،1968م ، ط1.
13) ابو حسن إبن إسماعيل بن سيدة المرسي : المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق ، عبدالحميد هنداوي ، منشورات مجمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 2000م ، ط1 ، ج2.
14) ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري : شرح أشعار الهذليين ، تحقيق ، عبد الستّار أحمد فراج ، مطبعة الميدني ، القاهرة – مصر، دط ، دت ،ج 1.
15) البغدادي : حزانة الأدب ، تحقيق ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ،2000م ، ط4 ، ج1.
16) عبد الحليم حفني : شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987م، دط ، دت .
17) احمد كمال زكي : شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي،دار الكتاب العربي،القاهرة،مصر،دط،دت.
18) عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب،دار النهضة للطباعة والنشر،القاهرة،مصر،دت،ط4.
19) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،جامعة بغداد،1993م، ،ط2. ج4.
20) ريميش بلاشير : تاريخ الأدب العربي،ترجمة،إبراهيم الكيلاني ،الدار التونسية للنشر والتوزيع،تونس،1986 م، ،دط. ج1.
21) عبده بدوي : الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي،الهيأة المصرية العامة للكتاب،القاهرة-مصر،1988م،دط.
22) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي،العصر الجاهلي،دار المعارف للطباعة والنشر،القاهرة-مصر،2003م،ط24.
23) محمد توفيق ابو علي : الأمثال العربية والعصر الجاهلي،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،1988،ط1.
24) عبد الله الغدامي : الزواج السّردي، والجنوسة النسقية،الهيأة المصرية العامة للكتاب،2003م ،دط،عدد61.
25) حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي،دار المعارف،القاهرة،مصر،دط،دت.
26) خالد الزواوي : تطور الصورة في الشعر الجاهلي،دط،دت .
27) يوسف محمود عليمات : النسق الثقافي،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،الجامعة الهاشمية،2009م،ط 2 .
28) يوسف خليف : أوراق في الشعر ونقده ،دط،دت.

29) نوري حمودي القيسي : الحوار في القصيدة الجاهلية ،دط،دت.
30) وهب أحمد رومية شعرنا القديم والنقد الحديث ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1996م،دط.
31) يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي ،دط ، دت.
32) تجور فاطمة : المرأة في الشعر الأموي ،مطبعة إتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، سوريا،2000م،ط2.
33) المجذوب عبد الله الطيب ،المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، دار الكتاب العربي ، الكويت،1989م،ط3.
34) عماد علي الخطيب الصورة الفنية أسطوريا ،دار جهينة للنشر والتوزيع،عمان الأردن،2006م،ط3.
35) طه وادي : صورة المرأة في الرواية المعاصرة ،دار المعارف،القاهرة،مصر ،1980م،ط2.
36) عبد الإله الصائغ : الخطاب الإبداعي الجاهلي و الصورة الفنية ،مطبعة إتحاد الكتّاب ،دمشق،سوريا، دط،دت.
37) نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،1978م،ط2.
38) عبد القادر عبد الحميد زيدان : التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ، دار صادر للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1989م ، ط3 .
39) محمد نبيل طريفي : ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ،المكتبة العامة ن دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،دط ، دت.
40) علي البطل : الصّورة في الشّعر العربي حتّى آخر القرن الّثاني هجري ، دراسة في أصولها وتطوّرها ، دار الأندلس للطباعة والنّشر ،1981م ، ط 2 .

ج - المعاجم :

41) ابن منظور : لسان العرب،تحقيق،عبد الله علي الكبير،محمد أحمد حسب الله ،هاشم محمد الشاذلي،دار المعارف،القاهرة،مصر،دط،دت،ج27.

د - الرسائل: الجامعية:

42) المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية و الإسلام، رسالة ماجستير، لأحمد سلمان مهنا ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، جامعة غزة ، 2007.

هـ -المجلاّت :

43) علي أبو زيد : ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 18 ، ط2 ، 2002م ، عدد 1 ، ص 86 .

44) يوسف محمود عليمات : النّسق الثّقافي ، عالم الكتب الحديث للنّشر والتوزيع ، مجلّة الجامعة الهاشمية ، البحرين ، الأردن ، صيف 2007، عدد 14.

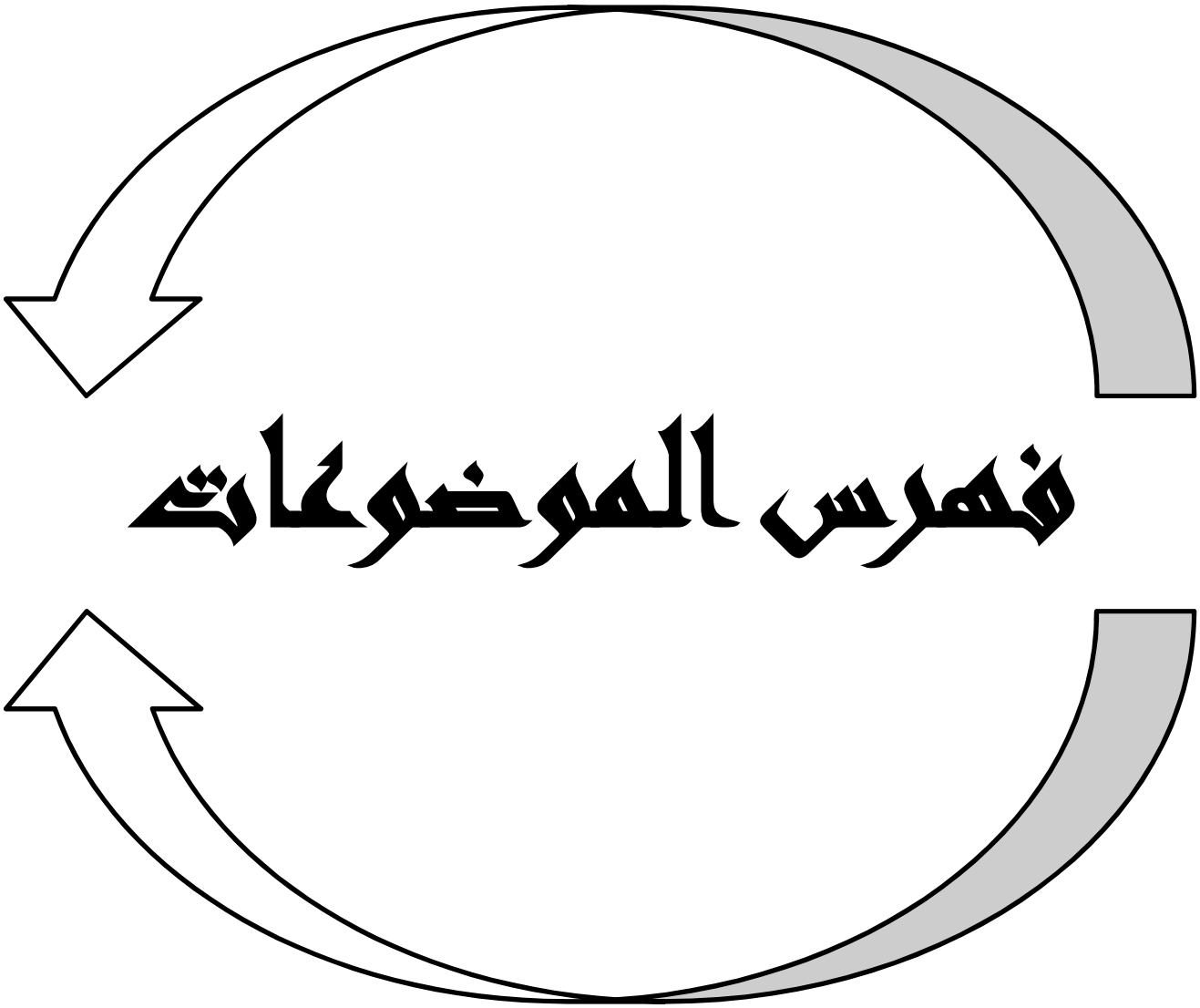

فهرس الموضوعات

فـــهرس الموضوعـــــــات

- مقدمة.....أ
- مدخل.....2

الفصل الأول: أنماط صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك

أولا: صورة المرأة العاذلة.....22

ثانيا: صورة المرأة الظاعنة.....32

ثالثا: صورة المرأة الأم.....43

رابعا: صورة طيف المرأة.....49

خامسا: صورة المرأة السبية.....54

سادسا: الصورة المبتذلة.....56

الفصل الثاني: صورة المرأة في شعر الصعاليك – نماذج مختارة –

1. المرأة العاذلة.....61
2. المرأة الظاعنة.....69
3. المرأة الأم.....75
4. طيف المرأة.....79
5. السبية.....80
6. المرأة المبتذلة.....84

خـــــــاتمة.....88

قائمة المصادر والمراجع.....91

فهرس الموضوعات.....96